

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية



وزارة التعليم العالي و البحث العلمي



جامعة الشهيد حمّـة لخضر - الوادي

قسم اللغة العربية و آدابها

كلية اللغات و الاداب

المدينة في الرواية الجزائرية في رواية "تلك المحبة لحبيب السائح" - أنموذجا-

مذكرة مقدّمة ضمن متطلّبات نيل شهادة الليسانس (ل.م.د) في تخصص دراسات أدبية

إشراف الأستاذ :

إعداد الطلبة :

* كمال بن عمر

❖ أميرة بن عطاالله

❖ خليفة طاغية

❖ محمد عشاب

❖ مسعود جغبالة

السنة الجامعية : 1438/1439 هـ - 2017/ 2018 م

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي
خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ
وَالَّذِي يُضَوِّبُ الْمَوْتَى
إِنَّ رَبَّهُ لَسَدِيدٌ
إِلَىٰ عَرْشِهِ الرَّحِيمُ
الَّذِي يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَوْتِ
وَيُدْخِلُ الْمَوْتَ فِي الْحَيِّ
إِنَّ رَبَّهُ لَسَدِيدٌ
إِلَىٰ عَرْشِهِ الرَّحِيمُ

شكر و عرفان

إلى كل من له الفضل في مساعدتنا على إنجاز هذا البحث المتواضع نتقدم، بالشكر
الجزيل إلى الأستاذ المشرف:

«كمال بن عمر»

الذي كان نعم السند و المعين في بحثنا هذا، كما لا يفوتن أن نتقدم بكامل الشكر و الإمتنان
إلى جميع أساتذة قسم الأدب و اللغة العربية بجامعة الشهيد حمة لخضر بالوادي، الذين
تلقينا عنهم مبادئ البحث العلمي عبر كامل مشورانا الدراسي، الذين تنهل منهم أدب الحياة
لما يبذلونه في سبيل العلم و المعرفة، و بالأخص صديقتي و أختي جهاد نتيش التي لها
الفضل في اتمام هذا البحث على خير.

تحية شكر و تقدير الى كل هؤلاء.

مقدمة

تعد الرواية من بين الأشكال الأدبية الأكثر تصويرا لحياة الإنسان المعاصرة كونها الوسيلة الأنسب لتعبير عن مشكلاته، و الأقدر على مواكبة مجريات الحياة بتقديم صورة عميقة عن الواقع المعقد، إذ استطاعت أن تستوعب أجناسا أدبية عديدة، ما جعلها أكثر إنفتاحا على العالم.

و لقد شهدت الرواية في منتصف القرن العشرين تطورا واضحا من حيث بنائها الفني، بما يحمل من تقنيات و عناصر هامة تسهم في تكوين نسيج العمل الروائي.

و يعد المكان أحد أهم العناصر المشكلة للرواية، حيث لا يمكن تصوير باقي عناصر الرواية من أحداث و شخصيات و زمان دون إطار مكاني يجمعهم. و بالرغم من كثرة الأبحاث و الدراسات التي تناولت المكان إلا أنه مازال يزخر بجوانب و ظواهر جمالية برزت معالمها بوضوح في الرواية المعاصرة التي تميل الى الواقعية أكثر فالمتتبع للرواية العربية و الجزائرية على وجه الخصوص يلحظ أنها اتخذت من المدينة بنية لها و موضوعا خصبا لا يستهان به، كونها مجالا لالتقاء الشخوص في تفاعلها و رصد سلوكياتها و حركاتها داخل المتن الروائي.

و نظرا للأهمية البارزة التي تكتسبها المدينة داخل النصوص الروائية باعتبارها وجها حضاريا، كانت دافعا لنا لطرق هذا الموضوع في الرواية الجزائرية للبحث في خصوصياتها و التعريف بها لاسيما أن الأعمال التي تناولت المدينة قليلة، ما جعلنا نتناول هذا الموضوع بالدراسة، فكان بحثنا موسوما بـ "المدينة في الرواية الجزائرية - تلك المحبة لحبيب السائح" نموذجاً .

واقترنا من هذه المدونة الروائية كان عبر محاولة للإجابة عن الإشكالية التالية: **كيف تناول الحبيب السائح المدينة كمعطى أدبي معاصر؟ ماهي صورها و تجلياتها كمسرح للأحداث السياسية و الاجتماعية و الفكرية؟** وهذه الإشكالية تضمنت جملة من التساؤلات سعى العمل للإجابة عنها نذكر منها:

ما تعريف المدينة؟ و ما طبيعة العلاقات التي تتخذها في سياق الرواية؟ كيف صور الكاتب المدينة؟ و هل كان لها حضور في هذا المتن الروائي؟

وقد أفضت طبيعة البحث على تصميم أفكار هذه المذكرة وفق خطة جاءت مؤطر في مقدمة جمعنا فيها كل ما يتعلق بالبحث، و مدخل رسم بنبذة تاريخية عن تطور الرواية الجزائرية، بالإضافة الى فصلين:

الفصل الأول عنوانه بـ "صورة المدينة في الرواية الجزائرية من خلال نموذجين" ، تحدثنا فيه عن تعريف المدينة لغة و اصطلاحا، و بعدها تطرقنا الى الحديث عن علاقة المدينة بالآخر (الانسان/ الريف) و أهم شيء هو الذي أظفناه نماذج لصورة المدينة في الرواية الجزائرية، أول نموذج هو صورة المدينة في رواية " ذاكرة الجسد" لأحلام مستغانمي و الثاني هو نموذج من رواية "انكسار" لمحمد مفلح.

أما الفصل الثاني الذي جاء موسوما بـ "تجليات المدينة في رواية تلك المحبة" للحبيب السائح فخصصناه للمدينة كفضاء مكاني (أهميتها، دلالتها، جمالياتها)، و إظهار الفضاءات المفتوحة و المغلقة داخل الرواية المدروسة.

و نيلنا بحثنا بخاتمة كانت عبارة عن حصيلة لمجموعة النتائج المتمحورة حول دراستنا للفضاءات في الرواية .

ولقد اعتمد البحث على المنهج التاريخي و على نظرية التلقي القائمة على القراءة مستعينة بألتي الوصف و التحليل، و ذلك باستنادنا الى مجموعة مصادر و مراجع أهمها:

الروابط بين الجزائر و الخارج لمحمد طمار ، تطور الأدب القصصي لعابدة أديب، في الأدب الجزائري الحديث لعمر بن قينية، اتجاهات الرواية العربية في الجزائر و بنية الشكل الروائي لحسين بحرواي.

أما الصعوبات التي واجهتنا خلال انجازنا لهذا البحث، فتمكن في قلة الدراسات التي تناولت المدينة في الرواية باعتبار أن معظم الدراسات كانت منصبة على المدينة في الشعر مما حملنا مشقة البحث و التنقيب.

و في الأخير لا يسعنا إلا أن نتقدم بعظيم الشكر و الإمتنان إلى الأستاذ المحترم "كمال بن عمر" الذي شرفنا بقبوله الإشراف علينا، و لم يبخل علينا بتوجيهاته و نصائحه، و الى كل من كان له الفضل من قريب أو من بعيد في إرشادنا طيلة هذا البحث الذي تعلمنا بواسطته تجاوز العقبات، من خلال جمع المادة المبعثرة في بطون الكتب. و نتمنى أن نكون قد أسهمنا بجهد متواضع في هذه الدراسة. و نسأل الله التوفيق و السداد.

مدخل

نبذة تاريخية عن تطور الرواية الجزائرية المعاصرة

عرفت الحركة الأدبية تطورا و ازدهارا كبيرين، نتج عنه ظهور أجناس أدبية من أهمها، الرواية التي هي من الأشكال التي لاقت إقبالا واسعا من قبل جمهور القراء، كونها تعالج الواقع المعاش. فعمل النقاد على ترقيتها و تطويرها و تحديد عناصرها الفنية.

هذا يعني أن الرواية جنس أدبي محدد يشمل أقساما متعددة يسميها "عبد المالك مرتاض" أنواعا في حين يطلق على الرواية جنسا، على اعتبار أن لفظة جنس أعم و أشمل من النوع.

و عن حديثنا عن الفن الروائي يجدر بنا التطرق الى الأشكال القصصية المتمثلة في (الرواية Roman – القصة Novlle – القصة القصيرة Conte).

تختلف الرواية عن القصة القصيرة بعدة مميزات منها الاتساع في أحداثها و شخصياتها، كما أنها تشغل حيزا أكبر و زمن أطول بالإضافة الى تعدد مضامينها فقد أعطى رامون « فردينا نديز » جملة من الفروق بين القصة و الرواية لعل أهمها: « الأحداث تسرد في القصة وفقا لمخطط سببي و زمني و تفسيري أم الرواية تركز على الشعور بكثافة الأحداث.

-ماضي الشخصية الروائية ليس إلا ذكرى مستقبلها مبهم و تتميز بغزارة المعلومات و الذكريات الكثيرة. خلاف القصة القصيرة التي تختصر جملة من الأحداث في عبارة واحدة»¹.

¹ عبد الرحيم الكردي، البنية للقصة القصيرة، 1983، 1970، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر بن عكنون (د، ط، ت)، ص 199.

مصطلح الرواية و تطوره:

أ- عند الغرب: تتعد المفاهيم الرواية من مكان الى آخر من زمن

الى زمن و « لقد أدت كلمة Roman في البداية مداليل مختلفة، فقد كان معناها الأول دالا على حكايات الشعرية، و بداية من القرن الثاني عشر صارت تطلق على كل ما هو مقتبس أو مترجم من اللاتينية، ثم صارت تطلق هذه الكلة على كل ما هو شعر أو نثر سواء كان شفويا أو مكتوبة و هذا كان في القرن الثالث عشر، و بداية من القرن السادس عشر صار لفظ رواية يطلق على أعمال قصصية نثرية متخلية ذات طول كاف، تقدم شخصيات على كونها واقعية و تصورها في وسط معينة و تعرفها بنفسياتها، و مصائرها و صف مراتها، و قد استقر لهذا اللفظ المعنى الحديث الدال على الرواية»¹

ب- عند العرب: كلمة الرواية حديثة، و لم تستخدم قديما في

اللغة العربية بمعناها هذا(الرواية). وان كانت لها دلالات أخرى قد تكون ذات صلة بذلك الدلالات المستخدمة يقول الجوهري في كتابة الصحيح: « الرواية: التفكير في الأمر، ورويت على أهلي و لأهلي، إذ اتيتهم ب²الماء، يقال من أين ريتكم؟ أي أين ترون الماء؟ و رويت الحديث و الشعر رواية فإن راو في الماء و

الشعر و الحديث و تقول أنشد القصيدة يا فلان و لا تقل أروها، إلا أن تأمره بروبيتها أي باستظهارها.³»

و عليه فالرواية تعني التفكير في الأمر، و تعني نقل الماء أو نقل النص الناقل. و تدل أيضا على الخبر.

¹ الصادق قسومة: نشأة الجنس الروائي بالمشرق العربي، ط 1، دار الجنوب للنشر، تونس، 2004 ص 80.

³ أحمد سيد محمد: الرواية الانسيابية، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1989، ص ص(17،18).

و الذي يهمننا هو الحديث عن « الرواية الجزائرية التي يرجع لها الفضل في توضيح العلاقة المتينة بين الفنان و الواقع الذي يعيشه من جهة و بينهما و بين الظواهر الفكرية المستجدة من جهة أخرى»¹

وذلك كونها تعكس لنا الواقع المعاش إطلاقاً من التعبيرات الغنية تصور انطباع الشخصية الروائية بشكل يبرز ملامحها ومميزاتها ضمن حيز مكاني يتظهر من خلاله أسلوب وطريقة الحياة لدى الشعوب.

¹ عبد الرحيم الكردي: البنية السردية للقصة القصيرة، 1983، 1970، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر بن عكنون (د، ط، ت) ص 199.

*نشأة الرواية الجزائرية و تطورها

ظهرت الرواية الجزائرية بعد الرواية العربية و خاصة في المغرب العربي، أي ظهرت متأخرة. فمنذ دخول الاستعمار أرض الجزائر و شعبتها يعيش ظروفًا غير طبيعية.. فقد حاولت فرنسا طمس الهوية الجزائرية و فرنسة الشعب الجزائري و فرض ثقافتها و ادبها و لغتها عليهم. أدى هذا الى ظهور مجموعة من الكتاب الجزائريين يكتبون باللغة الفرنسية. حيث دخل النقاد العرب في صراع بينهم و بين النقاد الفرنسيين حول انتماء الادب الجزائري المكتوب باللغة الفرنسية. هل ينتمي الى اطار الادب الفرنسي أم الجزائري؟

و من بين اوليك النقاد(محمد طمار) الذي يرى « أن الاديب لا يفكر تفكيرًا يتصل بالمشكلات الواقعية و الاجتماعية الا إذ تكون في إطار قومي، و لا يؤدي افكاره و احساسه تأدية خالصة صادقة كل الصدق إلا باللغة القومية»¹

عارض هذا الرأي « مراد بربون» الذي يرى « اللغة الفرنسية ليست ملكًا خاصًا بالفرنسيين، و ليس سبيلها سبيل المكلمة الخاصة.»

فكتابة أدبنا باللغة الفرنسية و تعبيرهم عن مشاعرهم و احساسهم بها. لا يحط من جزائريتهم و لا يخرجهم من الإطار الوطني أو القومي حيث يقول محمد ديب «..... ولأسباب عديدة، فإنني ككاتب كان همي الأول هو أن أضم صوتي إلى صوت المجموع منذ أول قصة كتبتها»²

و منه يمكن القول أن الظروف هي سبب كتابتهم باللغة الفرنسية فقد كان هناك كتاب و طينيون يؤمنون بحق الشعب و يعيشون واقعه، و يحسون بمعاناتهم. و لم يجدو وسيلة

¹ محمد طمار: الروابط بين الجزائر و الخارج، الشركة الوطنية للنشر و التوزيع.(د.ط) الجزائر، 1983، ص282.

² محمد خضر: الأدب الجزائري العتصري، منشورات المكتبة العصرية، بيروت (د.ط) 1967، ص 85.

للكتابة غير اللغة الفرنسية التي تعلموها كون فرنسا هي التي أجبرتهم على تعلم اللغة الفرنسية.

وهذا لن يؤثر على مسار الرواية الجزائرية، مادام الفنان منسجما مع نفسه. صادقا في تعبيره. فالمضمون واحد سواء كتب باللغة الفرنسية أو العربية. فهم لم يقدموا أدبا له طابع المستعمر، رغم إستخدامهم للغته.

ومن بين رواياتهم الثلاثية (دار الكبيرة، الحريق، النول) لمحمد ديب، (الدروب الوعرة) لمولود فرعون، (الأفيون و العصا) و (الهضبة المنسية) لمولود معمري و (نجمة) لكاتب ياسين، كل هاته الروايات كانت تصويرا دقيقا لمعيشة المجتمع المضطهد. كان لها طابع نابع من روح الجزائر لأن الأديب يواكب المسيرة الأدبية و يتحول معها من عصر إلى آخر»¹

هؤلاء كتبوا قبل الثورة و أرهصوا لها فلما إندلعت أمدتهم بشحنة و موضوعات جديدة « تحرر الوعي الوطني وتفجر معه أدب ثوري إتخذ من الثورة الجزائرية منهلا عذبا يستقي منه»²

كما نرى أن «الرواية الجزائرية المكتوبة باللغة الفرنسية تفوقت على الرواية المكتوبة بالعربية فقد وجد الكتاب بالفرنسية مجالا رحبا للإحتكاك بالثقافة الغربية التي تزخر بالروايات القيمة، ومنه إفتقر الكتاب بالعربية إلى هذه التجربة، فهم أنفسهم إتجهوا بدورهم إلى النهل من الرواية الغربية»³

¹ محمد مصاييف: الرواية الجزائرية بين الواقعية والالتزام، الشركة الوطنية لنشر و التوزيع، ط 1، 1981، ص 120.

² محمد مصاييف، المرجع نفسه، ص 122.

³ عائدة أديب بامية: تطور الأدب القصصي الجزائري 1925-1927.ت، محمد صقر، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، (د، ط، ت) ص 62.

لكن لم يبق الوضع على حاله، فلا بد لرواية الجزائرية المكتوبة باللغة العربية أن تقف على رجلها. فمن خلال هذا التحول برهن الأديب الجزائري أنه قادر على إبراز كفاءاته، و هكذا إشتقت الرواية الجزائرية المكتوبة باللغة العربية طريقها قبل الإستقلال ولكن في شكل غير واضح و غير ناضج و لكن له أثر في تطور الفن القصصي في الجزائر.

و من هذا كله يتبين لنا أن لتاريخ الشعب الجزائري وقع كبير في الأعمال الأدبية، خاصة الرواية فمعظمها كانت تجسيدا للواقع المعاش، لكنها كانت تتسم بالضعف اللغوي في بادئ الأمر، و مثال ذلك **حكاية العشاق في الحب و الإشتياق لمحمد بن إبراهيم** التي كتبها سنة **1849م**، و هي أول رواية جزائرية لكنها لم تحظى بالفوز بمستوى الرواية الفنية، ونجد عمر بن قينية يتحفظ في إعتبارها رواية، و السبب في ذلك يعود إلى ضعفها اللغوي كما ذكرنا من قبل، و عدم وجدها على الساحة الأدبية، و السبب يرجع إلى إضطهاد المستعمر ماديا و معنويا، تبعتها محاولات أخرى في « شكل رحلات ذات طابع قصصي منها ثلاث رحلات إلى باريس سنوات **1878-1852-1902م**¹، جاءت بعدها أعمال جدية في الفكرة و بوعي قصصي عانقت الفن الروائي، و الحدث و الصياغة.

هاته الجهود كان أولها **رواية غادة أم القرى لأحمد رضا حوجو** و التي ظهرت في الأربعينيات ، حيث تزامنت مع أحداث **مجازر 8 ماي 1945م** و قد حدث خلاف في ضبط سنة ظهورها، فهذا أحمد منور يقول و في مقدمته للطبع الثانية من قصة غادة أم القرى: « و نعتقد أنه- أحمد رضا حوجو- كتب غادة أم القرى في بداية الأربعينيات و ربما قبل ذلك، بالإستناد الى المقدمة التي كتبها له السي أحمد بوشناق المدني و المؤرخة في **21-12-1362هـ** - و هو ما يقارب حسب تقديرنا **20 جانفي 1945م** »².

¹ عمر بن قينية: في الأدب الجزائري الحديث تاريخا.... و أنواعا، و قضايا... و أعلاما، ط2، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، ص 197.

² أحمد رضا حوجو: غادة أم القرى، ط2، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر 1988، مقدمة الرواية.

ومنه نستنتج أن أحمد منور يعتبر رواية غادة أم القرى هي أول رواية جزائرية، و قد اتبعه **واسيني الأعرج** فقد عدها أول عمل روائي مكتوب بالعربية في الجزائر، بعد هذا توقف الإنتاج الروائي حتى بداية الخمسينيات و هي إندلاع الثورة التحريرية الكبرى حيث شهدت هاته الأخيرة ظهور بعض الروايات منها رواية **الطالب المنكوب لعبد الحميد الشافعي سنة 1951** و رواية **الحريق لنور الدين بوجدره سنة 1957م**.

جاءت فترة الإستقلال وما بعدها. مرحلة الستينيات. التي تراجعت فيها الأعمال الأدبية خاصة الرواية، بسبب الصراعات المحتدمة بين الأحزاب مما انعكس سلبا على الإنتاج الأدبي. ولكنها كانت التربة الخصبة للإنتلاق الرواية من جديد، وأسباب عدم ظهورها في الستينيات وتأخرها الى السبعينيات أكده واسيني الأعرج «لأن الظرف التاريخي بكل مفارقاته الإقتصادية و الإجتماعية و الثقافية، زيادة على أن ثقافة الأديب نفسه لم تكن لتساعد ولا لتسهم في ظهور الرواية ولكنها خلقت التربة الأولى، التي تبنى عليها أعمال أدبية فيما بعد خصوصا مع التحولات الديمقراطية في بداية السبعينيات».¹

عرفت الرواية الجزائرية في فترة السبعينيات تطورا وتنوعا، ليس له مثيل من قبل ولا بعد. وفي هذا يقول واسيني الأعرج: «فقد شهدت هذه الفترة وحدها - السبعينيات - مالم تشهده الفترات السابقة من تاريخ الجزائر من إنجازات (...). فكانت الرواية تجسيدا لذلك كله»²

وفي هاته الفترة بالتحديد ظهرت النشأة الجادة لرواية فنية ناضجة إرتبطت برواية «**ريح الجنوب**» لعبد الحميد بن هدوقة في فترة كان الحديث السياسي جاريا بشكل جدي على الثورة

¹ واسيني الأعرج: اتجاهات الرواية العربية في الجزائر، بحث في الأصول التاريخية والجمالية للرواية الجزائرية، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1986، ص111.

² المرجع نفسه ، ص 58.

الزراعية، فأنجزها في 5 نوفمبر 1970 تزكية للخطاب السياسي الذي كان يلوح بأمال واسعة للخروج بالريف عن عزلته»¹

هكذا نشأت الرواية الجزائرية الناطقة باللسان العربي فقد «خلدت لنا شخصيات متنوعة و مختلفة الأهواء و الاتجاهات تماما كما حدث مع هذا الإنسان و موقفه من التيارات الفكرية و الحضارية المختلفة التي بدأت تجتاح كيانه بعد الإستقلال، و بالذات و بعد أن كانت الساحة الوطنية تشهد تغيرات جذرية في كل المجالات و بعد أن بدأ المجتمع الجزائري يتشكل من فئات مختلفة و متنوعة بعد أن كان الإستعمار و الإقطاعيون يستغلونها»²

فالحديث عن الرواية الجزائرية يطول فالمهم هو الرواية الجزائرية المعاصرة» فقد حاولت و إلى وقت قريب. أن تقدم و عي الطبقة المثقفة بالواقع كما حاولت أيضا أن تعطي تصورا لعلاقات الإجتماعية و الثقافية و السياسية في المجتمع، فالرواية ليست تصويرا فوتوغرافي للواقع المعيشي فحسب، و إنما عالم متخيل يخلقه الروائي لأنه لا يقدم الحقيقة بل يطرح إيهاما بها، هذه الحقيقة التي تقوم على أزمنة فنية يلعب فيها الخيال دوره البارز، وهكذا يكمن دور الروائي في تقديم رؤيته لهذا الواقع و الكيفية التي رآها لاثقة لصياغته»³

ومنه نستنتج أن الرواية الجزائرية لم تنشأ كغيرها من الروايات العربية والغربية . فهي لم تأت بدافع التسلية .

وإنما هدفها عظيم فقد كانت تعكس واقع المجتمع الجزائري. الذي لم بيده حيلة سوى أن يفصح على حقه وسخطه المكبوت على هذا الواقع الذي تعيشه بلاده، إبان الإستعمار فلم

¹ عمر بن قينية: في الأدب الجزائري، ديوان المطبوعات الجامعة المركزية، الجزائر بن عكنون، (د،ط)، 1959، ص 198.

² بشير بويجرة محمد: الشخصية في الرواية الجزائرية، ص 199.

³ عائدة أيب بامية، تطور الأدب القصصي الجزائري 1925-1927، ت- محمد صقر، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، (د، ط، ت) ص 60.

يستطع إلا أن يسيل بدل الدم حبراً، وبدل المعارك صفحات من ورق. بخط عليه الأمة ومعاناتها.

الفصل الأول

صورة المدينة في الرواية الجزائرية (نماذج)

أولاً: المدينة

1- تعريف المدينة

أ لغة

ب اصطلاحاً

2- المدينة و الآخر

أ المدينة و الكائن (الإنسان)

ب المدينة و الريف

ثانياً: نماذج لصورة المدينة في الرواية الجزائرية

1- صورة المدينة في رواية ذاكرة الجسد لأحلام مستغانمي

2- صورة المدينة في رواية إنكسار لمحمد مفلح.

أولاً: المدينة

1- تعريف المدينة

إرتبط مصطلح المدينة بالإنسان الحضاري الذي إنتقل من البدوابة إلى التمدن، فأصبحت بدورها ظاهرة حضارية تعكس حياة الإنسان في سلوكه و عاداته و علاقاته مع غيره، و في ثانياً يحتثنا هذا تحديداً لمفهوم المدينة بوصفها عنصراً فنياً يجسد المكان داخل البناء الروائي. للمدينة معاني متنوعة نحاول تعريفها في المعنى اللغوي و الإصطلاحي.

(أ) لغة: من الناحية اللغوية لا تختلف مفاهيم المدينة، فقد ورد ذكرها في معجم

لسان العرب لإبن منظور في مادة (م، د، ن) قوله: «مدن المكان: أقام به و منه المدينة و هي فعلية....[...]. و الجميع مدائن ومدن، و يقال للأمة مدينة أي مملوكة»¹، و تطلق المدین علی «مدينة الرسول صلى الله عليه و سلم»² و هي مدينة يقرب الإسم السابق للمدينة قبل هجرة الرسول صلى الله عليه و سلم.

و يقال أيضاً «تمدن الرجل تخلف بأخلاق أهل المدن، وانتقل من حالة الخشونة والبربرية والجهل إلى حالة الظرف والإنس»³، فنقول أن التمدن ظاهرة إجتماعية وميزة خاصة بالفرد، إذ ينتقل من حالة البدوابة إلى حالة الحضرة والرقي.

والمدينة أيضاً «يمكن أن تكون اشتقت من دين أو ملك بوصف المدينة تشتت وجود الملك السلطان أو الوالي على الأقل عكس القرية»⁴

¹ ابن منظور: لسان العرب، دار صادر، بيروت، لبنان، ط 1، 1990، مادة(مدن)مج 3، ص 402.

² مجمع الوسيط، مجمع اللغة العربية، مكتبة الشروق الدولية، ط4، 2004، مج1، ص 859.

³ بطرس البستاني، محيط المحيط، مكتبة لبنان ناشرون، بيروت، لبنان، د ط، 1987، باب (الميم). ص 843.

⁴ عبد القادر بوعرفة، المدينة والسياسة (تأملات في كتاب الظوروي في السياسة لابن رشد)، عالم الكتب الحديث للنشر والتوزيع، إربد، الأردن، ط 2003، ص 69.

هذا يعني أن للمدينة حاكم يسير شؤونها، أما القرية لا ترقى لمستوى المدينة، كونها تمثل تجمعات سكانية صغرى.

وردت المدينة في العديد من السور و الآيات القرآنية فنجد في قوله تعالى: « قال فرعون أأمنتم به قبل أن أذن لكم، إن هذا المكر مكتموه في المدينة»¹ تعني الإشارة إلى موسى عليه السلام، و قوله تعالى: « و ما كان لأهل المدينة ومن حولهم من الإعراب أن يتخلوا عن رسول الله»² هنا الخطاب موجها لرسول الله صلى الله عليه وسلم، و قوله تعالى: « و قال نسوة في المدينة امرأة العزيز تراود فتاها عن نفسه»³ هنا الحديث يتعلق بالنبي يوسف عليه السلام، أيضا قوله سبحانه و تعالى: « وجاء رجل من أقصى المدينة يسعى»⁴

إذا نرى أن المدينة ذكرت في مواضع كثيرة في القرآن الكريم، كما ذكرت مدن بأسمائها مثل مصر، مكة، بابل، الأرض المقدسة (فلسطين).

نلاحظ أن موضوع المدينة لم يتناول على مستوى ضيق و محدود، و إنما ضمن مفاهيم عديدة و متسعة، فقد تبين لنا أن موضوعها ضارب بجذوره و له ركائز دينية.

(ب) إصطلاحا: يعتبر المكان مسرحا تدور فيه أحداث الرواية ، فهو عنصر

من العناصر الروائية التي به يكتمل الفن الروائي فلا بد من وجود شخصيات و أحداث وزمان ومكان، هذا الأخير كان الإهتمام به واضحا من خلال الدراسات و الأبحاث الأدبية.

و الحديث عن المكان يقصد به الحديث عن المدينة ذاتها، اذ تعنى هاته الأخيرة « إنتماء حد معين من السكان إلى موقع جغرافي متميز، يتفاعلون على ظاهرة إجتماعية متعددة

¹سورة الأعراف، الآية 123.

²سورة التوبة، الآية 120.

³سورة يوسف، الآية 30.

⁴سورة القصص، الآية 20.

الوظائف، قوامها إدارة و طبقات من السكان يتوزعون وفق صفقات اقتصادية في إطار قانوني ينظم العلاقات و الأفعال»¹

فالمدينة إذن تدل على مرتبة راقبة تجتمع فيها ظواهر و خصائص تميزها كرقعة جغرافية تظم فئة من المجتمع، يسرون ضمن إطار قانوني،

أم فلاسفة الاسلام فكان تعريفهم مرتبطا بالحاكم و المحكوم إذ يقول الغرابي: «إن المدينة لا يتم أمرها إلا بأن يكون فيها رؤساء و مرؤوسون، فالرؤساء مثل الأفاضل و ذوي التجارب، و المرؤوسون كل دون هؤلاء من الصبيان و الشبان و الجهال»²

و إذا كانت المدينة تعني ذلك التجمع السكاني الذي قوامه الحكم و السلطة فالمصر يشير إلى معنى نفسه يقول (لتاهناوي «المصر الحد الصحيح المعمول عليه أنه كل مدينة ينفذ فيها الأحكام و يقام بها الحدود»³

مصطلح المدينة في الإسلام لم يقف عند هذا الحد فمن أسماء المدن "العواصم" هاته الأخيرة مركز للحاكم و الإدارات و القضاء و المحاكم...تحتوى على تجمعات سكانية كبيرة، و هارون الرشيد هو أول من استعملها في الإسلام، «سماها عواصم لتعصم المسلمين من هجمات الروم»⁴، العواصم لحد اليوم تطلق على المدن الكبرى في العالم.

نجد أن المدن العربية ذات وظيفة مشتركة تمثلت في السلطة و الحكم، و التجارة و الصناعة حيث «يبدأ ميلاد المدينة في التشكل عندما يختص أهل الجماعة الواحد في امتهان حرف يرتبط و جود كل واحد منها بالأخرى، كما ترتبط الأعضاء في الجسم الواحد»⁵

¹ ياسر عبيد، مفهوم الفظيلة في مصطلح المدينة، مجلة جامعة دمشق للعلوم الهندية، سوريا، ع1، 2012، ص 115.

² عبد القادر بوعرفة، المدينة و السياسة (تأملات في كتاب ضروري في السياسة لأبن رشيد)، ص 70.

³ المرجع نفسه، ص 69.

⁴ سالم المعوش، المدينة الغربية بين عولمتين، دار النهضة العربية، بيروت لبنان، ط 1، دت، ص 132.

⁵ عبد القادر بوعرفة، المرجع السابق، ص 71.

ومنه فمفهوم المدينة قييما، مرتبط بظهور الحرف و الصناعات و من خلالها يمكن التمييز بين المدينة و القرية.

فالمدينة هي « الحياة بتعددتها و تنوعها، هي الأمكنة و البشر [...] و المدينة طريقة الناس في النظر الى الأشياء و طريقة كلامهم، المدينة هي الأحلام و الخيبات التي ملأت عقول الناس و قلوبهم¹»، فلا معنى للمكان إن لم ترتبط به الحياة.

المدينة لا تعني الحياة المادية من عمران و شوارع و إدارات و خدمات « المدينة فوق هذا كله إتجاه عقلي، مجموعة من العادات و التقاليد [...]، إن المدينة بمعنى آخر ليست مجرد ميكانيزم فيزيائي أو بناء صنعة الإنسان²، هذا يعني أن المدينة هي البوتقة التي تتصهر فيها العادات و التقاليد، فهي إلى جانب التنظيم الإقتصادي و الإداري تحضى بثقافة متميزة، لذا فهي نتاج بين الطبيعة و إبداع الإنسان.

يختلف تعريف " ماكس فيبر " للمدينة عن التعريفات الأخرى اذ يقول « إنها تتكون من مجموعة أو أكثر من المساكن المتفرقة، لكنها نسبيا تعتبر مكان إقامة مغلق، و عادة ما تبنى المنازل في المدن قريبة من بعضها البعض، فيكون الحائط لصيق الحائط³».

هذا الكلام يعطي للمدينة صورة أنها شديدة الإزدحام أي بينايات تتخللها الشوارع و الممرات، لذلك فقد «تقاطع مشاهد الأزقة و الساحات و المقاهي و الحوانيت و المنازل و الوجوه و الروائح و الأصوات لتشكل فضاء و إيقاعا خاصا هو جوهر المدينة، و إن شئنا

¹ بهيجة مصري إلبلي: عامر الديك، السيرة الذاتية في الخطاب الروائي العربي، مؤسسة الوراق للنشر و التوزيع، عمان، الأردن، ط 2011، ص 105.

² محمد عاطف غيث، علم الإحتماع الحضري (مدخل نظري)، دار النهضة العربية للطباعة و النشر و التوزيع، بيروت، لبنان، د ط، ص 129.

³ المرجع نفسه، ص 131.

معنى المدينة «¹، فالإنسان يتيح للمدينة أن تتشكل كفضاء، من خلال تواصله و تفاعله مع المكان، يصور علاقة الإنسان مع محيطه، فالمكان أي (المدينة) يتوفر على العناصر الأساسية للحياة من ماء، هواء و تراب... الخ، بالإضافة إلى المرافق العامة.

2- المدينة و الآخر

المقصود بكلمة " الآخر " هو الإنسان فهذا الأخير لا يتحقق وجوده إلا في الإطار المكاني الذي يعيش فيه [المدينة، الريف، المنزل، البيت، الشوارع... الخ] إذ « أننا لن نستطيع كشف ذاتنا و فهمها على حقيقتها إلا عبر لقاء الآخر، فيتبين مدى تألقها حين تنفتح عليه، ومدى بؤسها حين تتغلق في جدران ظلمتها»² فاللمدينة علاقات متنوعة أدت إلى التغيير في ملامحها وصورها، لذلك كان الإنفتاح على الآخر يقدم صورة عنه بالإيجاب أو بالسلب، من خلال علاقة التأثير و التأثير.

(أ) المدينة و الكائن: هل ترى أيمن لسمة العيش خارج الماء؟ مستحيل، معنى

هذا أن علاقة المكان بالبشر علاقة قوية، فالمكان يصور حياة الإنسان المادية و البشرية بأدق تفاصيلها، فالإنسان لا يحتاج إلى مكان يعيش فيه بقدر ما يحتاج إلى رقعة جغرافية يجسد فيها وجوده و يضرب فيها جذوره « فإذا كان المكان يتشكل بالدفء الذي ينهض من روح الكائنات فيه، و إذا كان الكائن بمسيرته مجموعة من الأمكنة تشكلت في ذاكرته و شكلت ذاته، فإن سيرة الكائن الذي يطلق روحه و ذاته في المكان بقدر ما يطلق المكان روحه في ذلك الكائن، ليصبح الإنسان تكويناً واحد يكتب تاريخ وجوده»³ معنى هذا أن الإنسان الذي يعيش في المدينة يكون في إحتكاك متواصل و مستمر، فالإنسان يتميز

¹ حسن نجمي، شعرية الفضاء (المتخيل و الهوية في الرواية العربية)، المركز الثقافي العربي، ط 1، 2000، الدار البيضاء، المغرب، ص 143.

² ماجدة حمود، صورة الآخر في التراث العربي، الدار العربية للعلوم ناشرون، بيروت، لبنان، ط1، 2010، ص 87.

³ بهيجة المصري إلبلي، السيرة الذاتية في الخطاب الروائي العربي، ص 103.

بالمدينة و كونه أيضا إجتماعيا يعرف ذاته من خلال المدينة، هاته الأخيرة تؤثر فيه بواسطة التبادل أي الأخذ و العطاء.

إقترنت لفظة المكان بكيان الانسان ووجوده، فالإنسان حبه فطري للإرتقاء و التطور فكانت المدينة المكان الأنسب لتحقيق ذلك، حيث أن «المكان الذي يسكنه الشخص مرآة بطباعه، فالمكان يعكس حقيقة شخصية، ومن جانب آخر الى حياة الشخصية تفسرها طبيعة المكان الذي يرتبط بها»¹

لذا كان الطابع المكاني للمدينة ينعكس على شخصية الفرد و ملامحه فالمكان «يقدم لنا يد المساعد على التعرف على الشخصية ذلك أن قراءة دلالية المكان توضح لنا ملامح و مميزات الشخصيات و طباعها»² فالإنتماء إلى مكان ما يسمح بتحديد العلاقة بين المكان و الانسان فيصبح المكان حياة و موتا، حبا و كراهية.....الخ.

و الذي يكشف الحالة النفسية التي تعيشها الشخصية، هو التأثير المتبادل بين الشخصية و المكان الذي تسكنه، فبعض الأمكنة تكون نفسية « تتميز بالعلاقة التأثيرية التي تقوم بين الإنسان و المكان، فيغدوا المكان محمولا خبري في ذات الكائن»³

(ب) المدينة و الريف: يسعى الإنسان الجاهدا من أجل أن يبق في جميع المراحل التي مربها، أو أن يرقى أكثر فأكثر و يحاول تجنب الرجوع، « و في مرحلة المدينة ساعدته العوامل الإقتصادية على نشأة عدد من المدن المحصنة، قامت اساسا على نوع من

¹ يسزا أحمد قاسم، بناء الرواية (دراسة مقارنة لثلاثية نجيب محفوظ)، ص 84.

² صالح و اعة، المكان و دلالاته (في رواية "مدن الملح" لعبد الرحمن منيف)، عالم الكتب الحديثة للنشر و التوزيع، أبرد، الأردن، ط1، 2010، ص 55.

³ الأخضر بن السائح، سطوة المكان و شعرية القصة في الرواية ذاكرة الجسد (دراسة في تقنيات السرد)، عالم الكتب الحديث للنشر و التوزيع، إريد، الأردن، ط1، 2011، ص 145.

الصناعة أدت بدورها إلى ظهور المدينة الضخمة، كتحقيق مشخص تتوافر فيه الطمأنينة و التواصل، و أخطارها التي تهدد حياته»¹

فالمدينة و الريف مكانين متناقضين، بينهما جدل و اسع و عريض، «ففي ظل التطور المذهل، و شارع وتيرة إيقاع الحياة و بخاصة بعد الحرب العالمية الثانية، أصبح الريف عاجزا عل تلبية حاجيات الأفراد، و لذا مهد لانهاره و فقد أهميته بسبب تقادم عهده و تطوره و عجزه عن مواكبة الأحداث»²

فقد جاءت المدينة لتلبية متطلبات الإنسان و حاجياته، «و لعل حاجة الريف إلى المدينة تضاعفت و اشتدت منذ الثورة الصناعية في أوروبا حيث سخرت الصناعة لخدمة الزراعة فتطورت صناعة الآلات ذات الوظائف الزراعية التي يسرت كثيرا على الفلاحين في الأرياف أعمالهم و زادت من إنتاجهم»³. هذا فيما يخص التقدم العلمي التكنولوجي فارتباط الريف يبدو واضحا.

إن المدينة هي مركز النشاط الإقتصادي والصناعي والتجاري، إذ «المدينة لها خاصية الجذب لما فيها من مظاهر العظمة والترفيه وفرص العمل مما يدعو الكثير إلى التمسك بحياة المدينة وهجر الريف الذي اصبح لا يطاق من وجهة نظر البعض»⁴ وماجلها فضاء جذب للناس هي المزايا والخدمات التي تقدمها لهم، وسبب هجرة أهل الريف للمدينة كان جراء نتائج الثورة الصناعية فأصبح هناك خلل في التوازن بينهما «المدينة تنظر إلى الريف على أنه متخلف و أن فتح أبواب المدينة أمامه يؤدي إلى فقدانها لقدر من رفايتها و

¹ مختار أبو على، المدينة في الشعر العربي المعاصر، المجلس الوطني للثقافة و الفنون و الأدب، الكويت، ط1995، ص159.

² قادة عقاق، دلالة المدين في الخطاب الشعري العربي المعاصر، ص 140.

³ قرطي خليفة، المدين في الجزائرية العربية، رسالة ماجستير، معهد اللغة و الأدب العربي، جامعة الجزائر، 94/ 95، ص 154.

⁴ محمد عاطف غيث، علم الإجتماع الحضري، ص99.

نظافتها في الخدمات الراقية التي أصبحت حقا مكتسبا لها، حتى و إن كان الريف هو الذي يمول تلك الخدمات أو يسهم فيها بنصيب»¹

إذا فبجعل المدينة نظيرا لريف خلق صراع عميقا أدى إلى صعوبة الاندماج، فقد « حكمت المدينة الريف بأخلاق الإقطاع، و تعاملت مع الريف على أنه ملكية خاصة خادمة لها و ليس عنصرا في المواطنة له الحق الكامل في خيارات بلاده على قدم المساواة»²، إذ بالريف ينظر للمدينة على أنها مقر لسلطة ترتدي أزياء مغرية لتبهر الفرد القادم إليها لذا «تبدو المدينة أدعى للعقل و أميل للمستقبل و ألصق بالحاضر، و أقدر على التلاؤم م وتيرة التطور الأقرب الى التغير و الإنفتاح، أما القرية [الريف] فأدنى إلى الماضي و أحرص على الذاكرة و الحلم و الخيال و العواطف و أكثر إرتياحا إلى الثابت و المنغلق»³ هذا يعني أن المدين تهتم بالطابع الحضاري.

إن الإنسان يستغرق مدة لمعرفة المدينة معرفة عميقة، هذا عند إنتقاله من الريف إلى المدينة، و برغم من المدينة منحت لريفي حقه في عيشه بحرية و فكته عن عاداته و تقاليد» لكن بمقابل هذه الحرية فقد حفزت اعصابه إلى حد "العصاب" بضجيجها و وضعتة في خوف مستمر من الجريمة و السكارى، و مدمني المخدرات و المنحرفين و في سخط دائم على تعقيدات البيروقراطية، و الرشوة و الوساطة [...] و في قصة ذلك كله يتولد لديه شعور بالإغتراب و العزلة»⁴ هذا الكلام يبين موقف الإنسان اتجاه (المدينة و الريف) حين يقع في صراع يؤدي به إلى اغتراب روعي و فكري نفسي.

¹ محمد حسن عبد الله، الريف الرواية العربية، عالم المعرفة، ط1989، ص 148.

² المرجع نفسه، ص 148.

³ عبد الصمد زايد، المكان في الرواية العربية (الصورة و الدلالة)، ص 478.

⁴ إحسان عباس، اتجاهات الشعر العربي المعاصر، دار الشروق للنشر و التوزيع، عمان، الأردن ط3، 2001، ص 90.

ثانيا: نماذج لصورة المدينة في الرواية الجزائرية

1-صورة المدينة في رواية ذاكرة الجسد "لأحلام مستغانمي":

حظيت رواية ذاكرة لأحلام مستغانمي بإهتمام النقاد و القراء من مختلف أقطار الوطن العربي، ومن بين الذين أعجبوا بهذا العمل الروائي، الشاعر نزار قباني، كما إستطاعت أحلام مستغانمي نيل درجات العليا لهاته الرواية في الماضي و الحاضر و المستقبل. فقد سيطرت رواية ذاكرة الجسد على الزمن النفسي.

و السمة التي سلطت الضوء على رواية ذاكرة الجسد هو تداخلها مع رواية أخرى مشهورة و هي رواية **رصيف الأزهار لم يعد يجيب** لروائي مالك حداد المعروف اللغة الفرنسية، سر إكتشافي لهذا التداخل هو إهداء مستغانمي الذي جاء في الصفحة الأولى لروايتها "ذاكرة الجسد" لمالك حداد، و أيضا قرأتي المتكررة لرواية أحلام فقد لاحظت أوجه شبه أي التعالقات النصية بين هاتين الروايتين "ذاكرة الجسد" و " رصيف الأزهار لم يعد يجيب". و من خلال قرأتي العميقة لرواية ذاكرة الجسد لأحلام تبين لي أنها عاشت هاجس المدينة، فقد عدت فضاءاتها و تغيراتها الزمنية، العامل الذي ساعدها في ذلك هو فن الرواية. يقول جابر عصفور: « لم يكن غير فن الرواية فنا يستطيع بمرونة شكله تجسد تحولات العلاقة بين الطوائف و الأجناس و الأعراف البشرية، في فضاء المدينة الإحيائية المتحولة بدورها»¹، إذن فالمدينة ليست مجرد حيز هندسي فقط، بل هي حياة تعكس صورة الفرد.

¹ جابر عصفور: الرواية و الإستشارة، دار الصدى للصحافة و النشر و التوزيع، دبي الإمارات العربية المتحدة، 2011،

يقول عبد الرحمان يطو: « ... ما نسعى إليه، هو الحديث عن المدينة كمكان تتلاشى فيه الأبعاد الهندسية و المعالم الطبوغرافية الحسية الخارجية لتتبلورا في صورة حميمية و عاطفية»¹

الفضاء الذي عالجه أحلام مستغانمي في رواية ذاكرة الجسد هو "قسنطينة" أي مدينة قسنطينة و سنحاول إبراز صورة هذا الفضاء.

ومن خلال قرائتي الكثيرة لرواية مستغانمي أنها غيرت من صورة قسنطينة و منحتها حياة أخرى، أي تأسست ماضيا و تواصلت حاضرا، لتبقى على إنفتاحية.

وفقا لهذ سنحاول رصد ما أبدعت فيه أحلام مستغانمي في وصف فضاء المدينة و هو كالتالي:

البطل في رواية ذاكرة الجسد يرتبط بالمدينة الصخرة ارتباطا زمنيا مستمرا، فقد كانت قسنطينة ذاكرته التي أسست كيانه حيث « نجد قسنطينة حاضرة في كل شيء في البيت و في الغرفة و في المعرض، و عن طريق الفتاة الزائرة التي تسمى حياة فهي تاريخه و ذاكرته»²

ذاكرة الجسد رواية غنية بالأماكن، ذكرت فيها العديد من المدن: (قسنطينة، تونس وفرنسا)، هاته المدن مر بها خالد (البطل)، إلا أن المكان كان راسخا في ذكراته، حتى وهو موجود في مكان آخر، هي مدينة قسنطينة، بإعتبارها مسقط رأسه فقد عشقها بجنون، حيث نسج خالد ذكريات طفولته و شبابه في مدينة الجسور المعلقة، تلك التي «أبعد عنها قسرا بعد تجربة إعتقال أيام الإستقلال و هي المدينة التي عاد إليها قسرا أيضا مرتين، مرة لحظور

¹ عبد الرحمان يطو: صورة المدينة و شكلنة الوعي الجمعي، مجلة اللغة و الأداب، جامعة الجزائر، ع18، نوفمبر 2008، ص 77.

² الأخضر بن السائح، سطوة المكان و شعرية القص في رواية ذاكرة الجسد، دراسة في تقنيات السرد، عالم الكتب الحديث، الأردن، 2011، ص 14.

زفاف حبيبته، ومرة ليدفن أخاه "حسان"، إن إرتباط مدينة قسنطينة بأكثر الأحداث تأثرا في حياته جعل تصويره للمدينة ينحو أما تونس فكانت بمثابة أمه الثانية التي إحتظنته بعد خروجه من وطنه الأم، فتونس هي المدينة التي داوت جروحه، و الأهم من ذلك أنها هي المدينة التي إلتقى فيها خالد "بحياة" إذ بخالد يقول عن تونس « كنت أعشي في تونس ابنا لذلك الوطن و غريبا في الوقت نفسه حرا و مقيدا في الوقت نفسه، سعيدا و تعيسا في الوقت نفسه»¹.

أما مدينة باريس فهي المنفى الذي اختاره خالد بكل إراداته، فقد هجر اليها للهروب من واقعه المؤلم، كما أنها المدينة التي جمعتة و لثاني مرة مع محبوبته "حياة" في معرض الرسم الذي أقامه.

و لتذكير نقول أن قسنطينة كانت الشاهد على فراق "خالد" و "حياة" بعد زواجها. لذلك فقسنطينة كانت المدينة الأكثر بروزا في الرواية.

قسمنا في دراستنا هذه الأماكن البارزة في الرواية إلى أماكن مغلقة، وأماكن مفتوحة.

1) الأماكن المغلقة:

ما معنى الأماكن المغلقة؟

الأماكن المغلقة: « هي ألتى ينتقل بينها الإنسان وبشكلها حسب أفكاره، والشكل الهندسي الذي يروقه ويناسب تطور عصره، وينهض الفضاء المغلق كنفيس للفضاء المفتوح، وقد تلقى الروائيون هذه الأمكنة وجعلوا منها إطار لأحداث قصصهم ومتحرك شخصياتهم»²، الأماكن المغلقة التي درستها رواية ذاكرة الجسد هي:

¹ أحلام مستغانمي: ذاكرة الجسد، ص 60.

² الشريف حبيبة، بينية الخطاب الروائي (دراسة في روايات نجيب الكيلاني)، ص 204.

أ- بيت "خالد" في قسنطينة:

البيت هنا جاء عبارة عن صورة إسترجاعية، فخالد البطل قام باسترجاع ذكرياته في البيت، هذا يؤكد صحة كلام "غاستون باشلار" حين قال: «فضل المنزل تستقر العديد من ذكرياتنا»¹.

فقد استرجع خالد باستحضاره ذكرياته عن البت العائلي، فشكل حضور أمه المعنوي راحة نفسية من حالة التوتر التي عاشها جراء عودته مجبرا لقسنطينة لكي يحضر عرس حبيبته "حياة": «ها أنا أسكن ذاكرتي و أنا أسكن هذا البيت، أكاد أرى ذيل كندورة (أما) العنابي يمر هنا، و يروح ويجيء بذلك الحضور السري للأومومة»² هذا الكلام يؤكد ما ذهب إليه باشلار حين قال: «المنزل الأصلي موجود فينا»³

كما يقول: «و صوت أبي يطالب بالماء للوضوء أو يصيح أسفل الدرج، "الطريق... الطريق" لينبه النساء في البيت أنه قادم بصحبته رجل غريب، و أن عليهن أن يفسحن الطريق و يذهبن للإختباء في الغرف البعيدة»⁴ حتى الرتشات البسيطة لم ينساها حيث أن «الكثير من ذكرياتنا محفوظة بفضل البيت، و إذا كان البيت أكثر تعقيدا أي له قبو و عليه أركان منعزلة و دهاليز و أروقة فإن أحلامنا تكون أكثر تحديدا نعود إليها دوما في أحلام يقضتنا»⁵

فالبيت عبارة عن فضاء للإقامة، يشعر ساكنه بالطمأنينة، كما يقوم بما يحلو له دون

¹ Gaston Bachelard: L'opoétique de l'espace, presse universitaire de froncu, decembre

1984,p 27.

² ذاكرة الجسد، ص 298.

³ La ppoétique de L'espace, p 32.

⁴⁴ أحلام مستغانمي: ذاكرة الجسد، ص 288.

⁵ غاستون باشلار: جماليات المكان، ص 39،

أي رقابة من الناس» و يحتل بيت البطل مركز الصارة في هذا النوع من الأماكن، يسمح بخلوة البطل و يطلق العنان لمخيلته كي تسرح بعيدا لتستحضر الذكريات»¹

و البيت هوية لمجموعة الشخصيات التي تتقاطع من خلاله ، إن البيت كما يقال: « هو الكون الأول للإنسان، و من خلاله ترسم المشاعر و العواطف»²

ب- سجن الكدية:

هو سجن فرنسا الذي كانت فرنسا تزج فيه الجزائريين، « فإذا كان الإنسان يقيم في البيت محض إرادته فهناك مكان، آخر مغلق يقيم فيه مجبرا هو السجن الذي يشكل عالما مناقضا لعالم الحرية تنتقل إليه الشخصية مكهربية، تاركة وراها فضاء الخارج الى عالم مغلق هو الداخل المحدود فتتطوي على نفسها بعدما كانت منفتحة على المجتمع»³ فقد جعل السجن من خالد رجلا صامد ضد الإستعمار فقد دخله صغيرا لكنه لم يرهب الإعتقال.

فعند مرور خالد من الشارع الذي يوجد فيه السجن عادت إليه الذاكرة بما تحمله من ألم و حزن، بما كان يحدث فيه من تعذيب و قهر لرجال يقول "خالد" « ولدت كل هذه الأفكار في ذهني و أنا أعبر ذلك الشارع، و ألتقي بعد 37 سنة مع جدران سجن كنت يوما أرها من الداخل... كان سجن الكدية جزءا من ذاكراتي الأولى التي لن تمحوها الأيام، هاهي الذاكرة تتوقف أمامه و ترغم قدمي على الوقوف فأدخله من جديد كما دخلته ذات يوم سنة 1945 من خمسين ألف سجين ألقى عليهم القبض بعد مظاهرات 8 ماي الحزينة الذاكرة»⁴.

¹ عبد الحميد بورايوا: منطلق السرد (دراسات في القصة الجزائرية الحديثة)، ديوان المطبوعات الجامعية، بن عكنون، الجزائر، (د، ط)، 1944، ص 147.

² صالح مفقودة: قسنطينة و البعد الحضاري للمكان في رواية ذاكرة الجسد، ص 243.

³ الشريف حبيبة: بنية الخطاب الروائي (دراسة في رواية نجيب الكيلاني)، ص 222.

⁴ أحلام مستغانمي: ذاكرة الجسد، ص 319.

ج- المسجد:

المسجد هو المكان الذي تؤدي فيه شعائر الصلاة، إذ تطمئن فيه النفس وتحس بالإسقرار والسكينة، والمساجد من المعالم العريقة التي تزخر بها مدينة قسنطينة حيث أن المسجد: «يساهم في بناء الرواية ويشكل إلى جانب الأماكن الأخرى بناء المكان العام للخطاب، يفتح على الناس كمكان للعبادة يتجهون إليه لأداء الفريضة والتزود من أجل مواجهة ظروف الحياة الصعبة، ينتقلون إليه في حركة متكررة خمس مرات في اليوم، يدفعهم إلزام نابع عن إيمانهم و إرتباطهم بريهم يأتونه تقودهم رغبة روحية»¹

أثر صوت الأذان في نفسية خالد فقد إفتقد سماعه منذ سفره إلى فرنسا، فعند عودته لقسنطينة وجد أن صوت المآذن لم تتغير قوتها، فسرعان ما يحس الإنسان بالرهبة، وسمو الروح، يقول خالد: «...ويسمو بي إلى أعلى ذلك النداء الأخر، لذلك المآذن التي افتقدت طويلا تكبيرتها، ورهبة أذانها الذي كان يدعو إلى الصلاة، فيخترق بقوته دهاليز نفسي، ويهزني لأول مرة منذ سنوات»²

د- بيت حياة في تونس:

هو البيت الذي عاشت فيه حياة طفولتها، فقد أراد سي الطاهر أن يحمي أسرته من العدو فذهب ليسكن في تونس بدل الجزائر، فقد كان بيته في تونس بمثابة الأمان و الحماية: «بعدها إتصل بي "سي شريف" من قسنطينة، ليطلب مني بيع ذلك البيت الذي لم يعد هناك ضرورة لوجوده، و الذي إشتراه (سي الطاهر) منذ عدة سنوات ليهرب إليه أسرته الصغيرة، عندما أبعدته فرنسا عن الجزائر في الخمسينيات»³

¹ الشريف حبيبة: بنية الخطاب الروائي، ص 234.

² أحلام مستغانمي: ذاكرة الجسد، ص 315.

³ أحلام مستغانمي: ذاكرة الجسد، ص 56،

كان ذلك البيت في أحد شوارع تونس، مثلما و صفه السارد، و كان ذو باب حديدي أخضر، يقول "خالد" «وقفت أدق باب بيتكم في شارع التوفيق بتونس... انتظرت أما بابكم الحديدي الأخضر»¹.

و- المستشفى:

هو المكان الذي يلجأ إليه الناس بهدف العلاج، فهو كخلية نحل، تقدم خدمات إنسانية للفرد، فالمستشفى « يعد بوظيفته عكس الأماكن الأخر المغلقة أو المفتوحة كونه يعمل على ترميم ما حطمته هذه الأمكنة في إنسان أرهقه المكان و الزمان فكان ملجأ كل مريض يصنع الراحة النفسية و يقدم العلاج الأمثل لمختلف الأمراض...»².

كما أن خالد قد عشق ذلك البت منذ أول زيارة له، حيث قال: «أحببت ذلك البيت... بدوالي العنب التي تتسلق جدران حديقته الصغيرة، و تمتد لتتدلى عناقيد ثريات سوداء على وسط الدار، شجرة الياسمين التي ترتمي و تطل من السور الخارجي، كامرأة فضولية ضاقت ذرعا بجدران بيتها و راحت تتفرج على ما يحدث في الخارج... و رائحة الطعام التي تنبعث منه، فتبعث معها الطمأنينة و دفيء غامض يستبقيك هناك»³.

المستشفى الذي تحدثت عنه الرواية يقع في مدينة تونس، حيث نقل إليه خالد يسمى مستشفى "الحبيب ثامر" فكان هو المكان الذي داوى فيه جراحه الجسدية و النفسية، فقد بترت ذراعه، و قد عالجه الطبيب اليوغسلافي، كما حفزه على الرسم فبفضله أصبح خالد من المبدعين فكان خالد في ذلك المستشفى « يحكي همومه و أحلامه و أماله، ماضيه و حاضره و مستقبله المرتقب يعري فيه نفسه شعورا بالأمن»⁴.

¹ احلام مستغانمي: ذاكرة الجسد، ص 111.

² المرجع نفسه، ص 113، 112.

³ الشريف حبيبة: بنية الخطاب الروائي (دراسة في روايات نجيب الكيلاني)، ص 238.

⁴ الشريف حبيبة: بنية الخطاب الروائي ص 283.

أشار خالد إلى الجدران البيضاء التي كانت في غرفته في المستشفى حيث يقول: « عدت يومها إلى غرفتي مسرعا أريد أن أخلوا مع نفسي بين تلك الجدران البيضاء، التي كانت إستمرارا لجدران مستشفى " الحبيب ثامر " الذي كان حتى ذلك الوقت، المكان الذي أعرفه الأكثر في تونس»¹.

ي- المعرض:

هو المكان الذي عرض فيه خالد " رسوماته و لوحاته"، و هو المكان الذي التقى فيه خالد و حياة مرة ثانية، يقول خالد: « كان يوم لقائنا يوم لدهشة... لم يكن القدر فيه هو الطرف الثاني، كان منذ البدء الطرف الأول. أليس هو الذي أتى بنا من مدن أخرى، من زمن آخر و ذاكرة أخرى، ليجمعنا بقاعة باريس، في حفل إفتتاح معرض لرسم؟»².

(2) الأماكن المفتوحة:

« تتخذ الرواية في أماكن منفتحة على الطبيعة تؤطر بهل للأحداث مكانيا، وتخضع هذه الأماكن لاختلاف بغرض الزمن المتحكم في شكلها الهندسي»،³ والأماكن المفتوحة في هاته الرواية:

أ الجسور:

قسنطينة مشهورة بإسم مدينة "الجسور المعلقة"، فالجسور من أبرز المعالم التي تزخر بها، والتي بقيت شامخة تدل على عراققتها، خالد هنا كان عاشقا لمدينة قسنطينة وجسورها، والدليل على ذلك، أنه جسد في رسوماته، فقد كانت أول لوحة له "حنين" كانت تجسيدا لجسر الحبال في قسنطينة يقول خالد: «انتظرت فقط طلوع الصباح لأشتري بما تبقى في جيبي من

¹ أحلام مستغانمي: ذاكرة الجسد، ص 61.

² أحلام مستغانمي، ذاكرة الجسد، ص 51.

³ الشريف حبيبة: بنية الخطاب الروائي (دراسة في روايات نجيب الكيلاني)، ص 244.

أوراق نقدية ما أحتاج إليه لرسم لوحتين أو ثلاث، وقفت كمجنون على عجل ارسم (قنطرة الحبال) في قسنطينة...»¹.

رسم خالد ذاك الجسر الدال على تعلقه بمدينة قسنطينة، فهو الرابط بينه وبين ذاكرته التي نسجها في الماضي «حيث تقوم الرواية على لوحة تسمى "حنين" هي صورة الجسر في قسنطينة هو قنطرة الحبال، رسم "البطل" خالد هذا الجسر بتلقائية عقب بتر ذراعه، رسمه تنفيذاً لوصية الطبيب اليوغسلافي "كابوتسكي" الذي قال له أرسم أقرب شيء إلى نفسك، فاشترى "خالد" ما يلزم و رسم جسرا اسمه "حنين"... ولكن "خالد" لم يرسم الجسر مرة واحدة بل ظل يرسمه كل مرة وتتطرق الرواية للوصف الطبوغرافي للجسر فتصفه بالإرتفاع للمحدد بـ 172مترا»².

2- صورة المدينة في رواية إنكسار "المحمد مفلح"

تحكي الرواية عن مأساة "عباس البري" (البطل)، مجسداً بذلك تفاصيل حياته اليومية المفتوحة على عالم المدينة، و في علاقاته بمن حوله من الناس إذ تأخذنا الرواية عبر محطات "إنكسار" مر بها البطل، جعله يشعر بالأسى، لكن بالرغم من ذلك هناك دائماً أمل يبعث على الحياة من جديد.

دارت أحداث رواية "انكسار" في كل مدينة غليزان و العاصفة " فعباس البري" يعيش في مدينة غليزان و انتقل الى العاصمة يأمل إيجاد حل المشكلة الديوان المتركمة عليه، سنذكر تلك الأماكن المتعددة في الرواية و طبعا قسمناها الى فضاء مفتوح و آخر مغلق.

¹ أحلام مستغانمي: ذاكرة الجسد، ص63.

² صالح مفقودة : قسنطينة والبعد الحضاري للمكان في رواية ذاكرة الجسد لأحلام مستغانمي، ص245.

1) الأماكن المفتوحة:

أ- الأحياء و الشوارع:

الحي و الشارع عبارة عن فضائيين يمارس فيهم الناس حياتهم بكل المستويات، كونها محل للإلتقاء و التقابل . سلط محمد مفلح في رواية "انكسار" الضوء على بعض الأحياء التي تتحرك فيها الشخصيات في هاته الرواية، و في قوله: « شقت المرستديس بسرعة جنوبية الشارع الرئيسي، و دارت حول ملتقى طرق المدخل الغربي للمدينة، ثم إندفعت صوب حي "الكاستور" و عند الملتقى الثاني اتجهت الى منطقة الحي الجديد»¹، أيضا حي تليمنة الذي يسكنه "عباس" و ذلك في قول السارد « رجع الى مسكنه بحي تليمنة المطل على سهل ورابي و جبال الجهة الشمالية للمدينة»².

« ثم أسرع الخطى إلى عبر الطريق المؤدي إلى حي الرق»³، هذا الحي من أقدم الأحياء الشعبية بغليزان، إذ يرجع و جوده الى الفترة الاستعمارية بالجزائر.

الشارع عبارة عن مسرح يستقبل الناس من مختلف الفئات، إذ لا يمكن التخلي عن الأثر الذي يتركه المكان في نفسية الفرد، يتضح هذا من خلال قوله «وساح في المدينة، قضى أكثر من ساعة وهو يمشي في الشوارع التي بدت له صاخبة، متوترة الأعصاب، وغير أبهة بمصيره المشؤوم»⁴.

¹ محمد مفلح، انكسار، دار طليطلة للنشر و التوزيع، الجزائر، د ط، 2010، ص 12،

² الرواية، ص 5.

³ الرواية، ص 44.

⁴ محمد مفلح، انكسار، دار طليطلة للنشر والتوزيع، الجزائر، د ط، 2010، ص 55.

ب) الساحات:

الساحات من بين الفضاءات المكانية المفتوحة على المدينة، فيها يتواصل الناس مع بعض، تقام فيها الإحتفالات والأسواق المفتوحة... إلخ. لها تسميات عديدة «يتعين أن تكون معروفة باسم ومنها ما يكون له تاريخ ووقائع معروفة تبلغ أحيانا درجة الأسطورية»¹.

تجلت الساحات في رواية "انكسار" وترى أنه لم يتعمق في سرد الأحداث، بل ذكرها ووصف البعض منها فقط، إذ قال الروائي عن عباس الذي «توقف في ساحة بورسعيد الفسيحة ذات أشجار الفيكوس الباسقة، المكتضة بالمسافرين، والزوار والسياح، والمشردين، ورواد المقاهي، والباعة المتجولين، وتجار العملة الصعبة، كانت الساحة تعج بالحركة التي تجعل الإنسان ينسى نفسه»²، ساحة بورسعيد تشكل فضاء حضاريا لأنها تستقبل الباعة والسياح... إلخ.

وساحة الشهداء بالعاصمة التي حدثنا عنها "البطل" «ثم خرج من الفندق واتجه إلى ساحة الشهداء التي وجدها تعج بالمارة، وسار في الجهة التي رصفت عليها عربات باعة الملابس المستوردة»³.

كما جعل الروائي من ساحات المدينة مكانا للقاءات مع الآخرين « شهيناز... لا تقلقي... إنتضريني في ساحة أودان»⁴، «ثم احتظن محفظته الثقيلة وأسرع الخطى إلى ساحة موريس أودان»⁵.

¹ قرطي خليفة، المدينة في الرواية الجزائرية العربية، رسالة ماجستير، ص 192.

² محمد مفلح، انكسار، ص 76.

³ الرواية، ص 78.

⁴ محمد مفلح، رواية انكسار، ص 93.

⁵ الرواية، ص 93.

ج) المدينة:

المدينة من بين الفضاءات المفتوحة، التي تساهم في تكوين الشخصية الروائية، فهي التي تؤثر في مسار حياتها، و قد برزت أهمية المدينة في هاته الرواية و بصورة واضحة، نمثل ذلك بمقطع من الرواية أثناء حديث " عبد القوي" مع " عباس" يقول: « مازلت متعلقا بمدينة الجميلة... فكيف أنسى شوارعها العريضة وساحاتها الفسيحة و حدائقها الجميلة و بساطتها الغناء ربوتها الشامخة، و وادي مينة الشهير و جسره القديم... مازلت أتمنى العيش بها و لكن زوجتي و أولادي يرفضون مغادرة العاصمة التي حققت فيها أحلامي»¹، يتضح هنا حنين البطل لمسقط رأسه، كما وصف إتساعها و ضيقها في بعض الأماكن حيث رسم بعض ملامحها « المدينة الجميلة المطوقة بسهولة خصبة تحاصرها سلاسل من الجبال و الروابي»².

زيادة ذلك اهتم الكاتب بالمدينة في هاته الرواية من خلال وصفة لها «أجمل العاصمة المتلألئة الأضواء في أجواء الليل الهادي و هما يتحدثان عن المستقبل القريب!... لقد زار عواصم عربية و غربية و لكنه لم يجد مدينة أجمل من مدينة الجزائر البيضاء»³ يتناسب هذا الكلام مع الحالة النفسية التي يمر بها، إذا وصف الجزائر بأنها بيضاء دلالة على الإنشراح و النقاء...

2) الأماكن المغلقة:

في رواية "انكسار" نجد قدرا معتبرا من الفضاءات المغلقة، حرص " محمد مفلح" على تقديم المكان المغلق في صورة متعددة من بيوت و غرف و فنادق...

¹ محبوبة محمدي، محمد ابادي، جماليات المكان في قصص سعيد حوار، الهيئة لعممة السورية للكتاب، دمشق، ط1، 2011، ص 45.

² محمد مفلح، رواية انكسار، ص 11.

³ الرواية، ص 84.

أ) البيوت و الغرف:

هذا الفضاء يشكل حضورا "بارزا" في الرواية، إذ يعتبر البيوت و الغرف من الأماكن التي يستقر فيها الفرد، كما يعد البيت المكان الأول الذي يوجد فيه الإنسان، هنا البيت إستطاع أن يعبر عن الشخصية من خلال الرواية، حيث نجد "مفلاح" يعطي صورة عن البيت من خلال الوصف الذي قدمه بقوله: « دخل شقة مسقوفة بالقرميد لها واجهة جميلة مغروسة بشجيرات الياسمين و مسك الليل، تذكر أيام الطفولة السعيدة التي قضاها في اللعب مع كمال ابن خالته»¹. هذا المقطع يكشف لنا الحالة النفسية لشخصية عندما دخل المنزل فاسترجع ذكريات طفولته. فمن المستحيل أن ينسى الإنسان مسكنه مهم ابتعد عنه، إذا يختزن في ذاكرته اللحظات التي عاشها في كل زاوية من زاويا البيت، من بينها «دفع عباس الباب الخشبي للشقة، و توجه إلى الحجرة التي كانت تحتوي على خزانة خشبية و تلفزة و وضعت على منضدة، احتلت جزءا من الدار الذي علقت عليه صورة الوالدة إلى جانب صورة الأحرار الخمس، مازالت الحجرة تذكره بجذته حليلة بنت الخير، و حكاياتها الشيقة عن الحيوانات و السلاطين و الأشباح و المغامرين»² هذا يعني أن البيت يأخذ أبعادا كثيرة تعبر عن نفسية الفرد.

ب) الفندق:

يعتبر الفندق فضاء مغلقا، يقصده الناس للإقامة المؤقتة عند السفر، فهو مكان تتميز به المدينة، فمن المعروف أنه مكان واسع يحتوي على غرف عديدة مخصصة للإيواء مقابل اجرة، ذكر الروائي محمد مفلاح الفندق في مواضع عديدة لجأ إليه "عباس" حيث أقام فيه لفترة أثناء رحلته الى العاصمة، و ضع لنا الكاتب أن عباس وصل الى المحطة "خروية"

¹ محمد مفلاح، انكسار، ص 9.

² الرواية، ص 24.

بالعاصمة «استقل منها سيارة أجرة صفراء الى فندق السفير الذي اعتاد الإقامة فيه كلما زار الجزائر»¹ حيث أن عباس وجد جميع غرفة محجوزة للمشاركين في الصالون الدولي للكتاب. واصل الروائي مسيرة عباس للبحث عن الفندق آخر يستقر فيه «دخل أول فندق صادفه في طريقه، كان فندقا قديما وضع على أعلى بابه الحديدي لافتة عريضة كتبت عليها عبار أهلا و سهلا و مرحبا، فكر أن يقضي فيه ليلة واحدة ثم ينتقل الى فندق آخر يليق بمكانته»²، وصف الكاتب لنا ان الفندق القديم وأن عباس لم يشعر بالإستقرار فيه.

ت) المكتبة:

لم تذكر المكتبة كثيرا في الرواية، كما شكلت فضاء مغلق ذهب إليه "عباس" لزيارة صهره "بغداد بخلوني" الذي يقضي جل وقته في المكتبة المتواضعة كما وصفها الروائي «توجه بسيارته الى مكتبة البلدية المقابلة لمقر الدائرة دخل بناية دار الثقافة ثم ارتقى الدرج المؤدي الى الطابق الأول حتى المكتبة المتواضعة... لاحظ أن المكتبة لا يوجد بها إلا ثلاث فتيات يشتغلن في إطار برنامج الشبكة الإجتماعية»³.

فالمكتبة تعد مؤسسة ثقافية تشمل على خدمات متنوعة.

¹ الرواية، ص 75.

² الرواية، ص 77.

³ الرواية، ص 18،

الفصل الثاني

تجليات المدينة في الرواية " تلك المحبة" للحبيب السائح

أولاً: المدينة كفضاء مكاني:

1. أهمية المكان
2. دلالة المكان
3. جمالية المكان

ثانياً: الأمكنة المفتوحة:

1. مدينة أدرار
2. الصحراء
3. أرض توات
4. المقام
5. السوق

ثالثاً: الأمكنة المغلقة:

1. البيت
2. الكنيسة
3. القبر
4. السرداب
5. المكتبة

أولاً: المدينة كفضاء مكاني:

1- أهمية المكان:

من المؤكد أن الرواية في ابتدع ليعبر عن المدينة و ارتبط ازدهارها بنشأة المدن الكبرى، و هذا ما يجعلنا نعطي أهمية للمكان ولا يمكن نتصور رواية بدون مكان و منه فهو الوعاء الذي يحوى الحدث الروائي، ففيه «تولد الشخصوص و تتحرك نحو النمو الروائي، وتتدافع الأحداث نحو التعقيد و الدورة، و بحسبك أن تتصور أشخاصا يولدون غفي اللاسكان و يتحركون في فراغ، و بحسبك كذلك أن تتصور أحداثا تتم، فضلا عن أن تتشابك و تنتمى في اللاشئ ثم عليك أن تحكم بعد تصور مايمثله المكان من أهمية»¹

و تظهر أهمية المكان كذلك كما يقول بحراوي « أن المكان " ليس عنصرا زائدا في الرواية، فهو يتخذ أشكالا و يتضمن معاني عديدة، بل قد يكون في البعض الأحيان هو الهدف من وجود العمل كله»².

و سنحاول في درستنا السعي إلى قراءة المدينة كفضاء مكاني و تجلياته و نحاول تجاوزه إلى استكشاف رؤية الروائي المحددة لهذه العوالم المنبثقة من هذه الحلالات و التجليات ثم مزاجتها بالعلاقات و المواقف و القيم الإيديولوجية، و النوازع الأخلاقية و الروحية و المادية المرتبطة بالمدينة، بوضعها بوتقة تجمع فيها عناصر العمل الروائي»³

¹ سيزا أحمد قاسم، بناء الرواية (دراسة مقارنة لثلاثية نجيب محفوظ، الهيئة المصرية للكتاب(د، ط). 1995، ص 104.

² حسين بحراوي، بنية الشكل الروائي(الفضاء، الزمن، الشخصيات)، ص 33.

³ الرواية في القرن العشرين - جان-إيف تادية- ترجمة محمد خير البقاعي، الهيئة المصرية العامة للكتاب- سلسلة القاهرة، 1988- ص 101.

و بما أن المدينة هي مكان و « المكان في الفن ليس مكانا هندسيا عاشه الأدب كتجربة، و المكان لا يعيش على أرض، بل داخل جهازنا العصبي، لوعدنا إليه في الظلام، فلسوف نعرف طريقنا إليه»¹.

فالمكان من هذا المنظور هو موقع يعيشه الأديب بعقله و يبقى راسخا في ذهنة، يستحضره في أية لحظة أو موقف و لهذا وجد الاختلاف في الشمسية الحيز، المكان، الفضاء.

2- دلالة المكان:

لقد سعى النقاد في العمل الروائي على تحديد مفهوم نقدي، اجزائي للمكان لتمييزه عن مختلف المفاهيم التي طرحها الفلاسفة، وقد اهتم الكتاب بالمكان في أعمالهم الأدبية و يعرف "غاستون باشلار" المكان الفني أو الأدبي بأنه «المكان الملموس بواسطة الخيال، لن يظل مكانا محايدا، خاضعا لقياسات و تقسيم مساح الأراضي، لقد عيش فيه بشكل و ضعي، بل بكل ما للخيال من تحيز، و هو شكل خاص في الغالب، مركز اجتذاب دائم و ذلك لأنه يركز الوجود في حدود تحميه»²

فعندما يكرر المكان فهو موضوع العيش و الإقامة و السفر و الهجرة، و هو الحيز الذي يحوي الإنسان و أنشطته و يتسع ليشمل الأرض بما عليها، و هذا يعني أن المكان يرسخ في عقل الأديب و تتوالد لتملأ وجدانه و أحاسيسه و يفيض بها قلمه، لذا فإن مفهوم المكان في الأدب لا يفهم من خلال الوصف المادي فحسب، و إنما في العلاقة التي بين الإنسان (الأديب) و المكان، فالمكان الذي نحيا فيه يحمل دلالة تتخلل جميع أبعاد و الإحداثيات و

¹ عبد الناصر مباركية، قراءات و دراسات نقدية في أدب عبد الحميد بن هدوقة محاضرات بعنوان الجازية و الدراويش، بين التراث السردي الروائي و جمالية المكان ص 14.

² غاستون باشلار، جماليات المكان، ترجمة غالب هلسا، المؤسسة الجماعية للدراسات و النشر و التوزيع، ط2، بيروت، 1984، ص 60.

الأركان، و الظواهر الطبيعية للأشياء، فعندما نذكر أشياء من المكان فهي بمثابة علامات عليه و على مكوناته.

فلا يحتاج المبدع إلى ذكر تعريف تفصيلي للمدينة و إنما يكتفي باسمها، وبعض معالمها في سياق نصه وتكون هذه العلامات إحالات تعطي أبعادا معرفية وتأويلية ونفسية للقارئ، فالمدع يتعامل مع المكان بإدراكه الخاص، بخياله و أحاسيسه وبرؤيته لطبيعة البشر القاطنين في المكان.

«فالذات البشرية لا تكتمل داخل حدود ذاتها ولكنها تسقط خارج هذه الحدود لتصبغ كل ما حولها بصبغتها وتسقط على المكان قيمتها الحضارية»¹.

فالأشخاص القاطنين في الأماكن الضيقة يتسمون بالضيق والشأم، أما من يعيشون في الأماكن المفتوحة فيتسمون بالمرح والانبساط، ومنه تختلف النفسيات والذهنيات والأذواق حسب المكان المعاش، وشعور لا يمكن أن يأتي إلا من خلال براعة الروائي وقدرته على متابعة حركة الشخص، وتتابعها في ثنايا السرد، وقد يوحي بصورة غير مباشرة بالمكان الذي تعيش فيه.

فالمكان ملتصق بالشخصية والإنسان كذلك.

3- جمالية المكان:

أ- **الأمكنة المفتوحة:** هي الحيز المكاني الذي يحتضن نوعيات مختلفة من البشر

وأشكال متنوعة من الأحداث الروائية وغالبا ما تكون دلالة المفتوح مقترنة بالفرح والسعادة والحرية والحالة النفسية المستقرة.

¹¹ لوتمان، بوري وأخرون: جماليات المكان، عيون المقالات، الدار البيضاء، دار قرطبة، ط2، 1988. ص63.

تكتسي الأماكن المفتوحة أهمية بالغة في الرواية إذ أنها تساعد على «الإمساك بما هو جوهري فيها أي مجموع القيم والدلالات المتصلة بها»¹.

وهذا يعني أن المكان المفتوح الذي يجعل الشخصية تتجاوب معه، وتتصف بسلوكيات متميزة. كما تعبر عن تجاربها وهي مدركة لذاتها، وتفصح عن تطلعاتها بكل ثقة وهي متطلعة لتحقيق أمالها وغاياتها التي تطمح إليها دون تردد أو خوف لما سيواجهها.

أمكنة تتجاوز كل محدد أو مقيد نحو التحرر والانتساع أي عكس الانغلاق حيث

يمكن أن نلتقي فيها أعداد مختلفة من البشر، وهي تزخر بالحركة والحياة. وفي مثل هذه الأماكن يتحقق التواصل مع الآخرين، ويقضي على الشعور بالعزلة والوحدة. ويعرفها عبد الحميد بورايو بقوله «ونقصد هنا بانفتاح الحيز المكاني: وأشكال متنوعة من الأحداث الروائية. وتتصل هذه الأماكن المفتوحة بفضاءات محدودة كالبحر والغابة والصحراء والشوارع والجسور وهي بدورها توحى بالحرية الانطلاق والانسجام مع الذات»². أي هي أماكن اتسمت بالانفتاح لأنها أماكن لم تتعرض للتشكيل الإنساني والتحديد المادي، فلم تصل إليها يد الإنسان لهندسيتها.

ب الأماكن المغلقة:

هي أماكن لها خصوصية احتضان نوع معين من العلاقات البشرية، وغالبا ما تكون مرتبطة بالحزن والأسر والاضطهاد والعزلة وهي «التي تحوي صورا مكانية تعزلها عن العالم الخارجي، ويكون محيطها أضيق بكثير بالنسبة للأمكنة المفتوحة»³، وهذا يعني أن المكان المغلق يختلف عن المكان المفتوح لأن الشخصية تجد نفسها مقيدة فلا تستطيع معرفة ذاتها من حيث تكون واقفة في ارتباك وضغوطات تضيق الخناق على الشخصية، وبالتالي تفقد

¹ حسن بحرأوي، بنية الشكل الروائي، ص79.

² عبد الحميد بورايو، منطق السرد، دراسة القصة الجزائرية الحديثة، ص148.

³ أوريدة عبود، المكان في القصة القصيرة الجزائرية الثورية: ص59.

حتى انتماءها وهويتها لأن المكان في الحقيقة ينعكس على الشخصية بل يكون حاجز يعترض طريقها لتحقيق ما تطمح إليه من أهداف وغايات.

«هي أماكن محددة بواسطة أبعاد معلومة وهي ترمز للنفي والعزلة والكبت، إذ الانغلاق في مكان واحد تعبير عن العجز وعدم القدرة على الفعل والتفاعل مع العالم الخارجي وهي توحى بالعزلة والخصوصية، إذ يحتضن المكان المغلق عددا محدود من البشرية»¹.

أي ذلك المكان الذي تكون له حدود معينة بحيث أن الفعل لا يتجاوز الإطار المحدد كالبيت والغرفة، وتتميز هذه الأماكن بميزات قد تكون إيجابية مثل [الألفة، الأمان]، كما قد تكون مميزات سلبية معاكسة للسابقة، مثل [الخوف، الوحدة].

ثانيا: الأماكن المفتوحة:

1- مدينة أدرار: افتتن الحبيب بمدينة أدرار التي لجأ إليها في عام 1994. فارا من

الهمجية التي اتسمت بها العشرية السوداء في الجزائر. وفي هذه المدينة كتب العديد من قصصه وكانت رواية تلك المحبة إحدى الروايات التي كتبها في هذه المدينة فقد قال «أما مدينة أدرار، في أقصى جنوب الجزائر الغربي، فقد كانت منفاي الاختياري ومسكني وموطن أمني الذي افتقدته في التسعينيات، هناك في الشمال بفعل الهمجية والحماسة التي سببت محنة الجزائر».

وفي أدرار عرفت الله وثمة اكتشفت ذاتي فأعدت سؤالي عن كنهني فوجدتني بهذا الجواب: إنسان عار من كل أسمال الغرور، فقير إلى المعرفة فرحت أقرأ، بلا لغة انكبيت على النحت.

¹ عبد الحميد بورايو، منطق السرد، دراسة القصة الجزائرية الحديثة، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1994، ص146، 147.

أدرار مدينة أعطتني مالم تعطيني إياه تلك المدن: معسكر، سعيدة، وهران مجتمعه، علمتني الصبر وشربتني لذة الإنصات والاستماع وأرتتي كيف أسمو على ما يسفل بغيري حين فتحت لي الساعة، التي عرفت فيها أنني جزيء مجرد جزيء سابع في كون لا يحد»¹.

وربما تكون أدرار فرشت لي باب الحقيقة أنا مدين لأدرار بالوشاح الذي زينته به كتاباتي تلك المحبة، خاصة والذي هو نص لها ولسرها الذي مكنتني من جزء منه.

لقد عاش الحبيب السائح في هذه المدينة وخبرها جيدا وقد قال في عبارة له «أنت الأثر الذي حيرني في كل مقام زرته من مقامات الأولين، من عين صالح إلى أقبلي ومن انغر إلى اغرر ومن قصر الشرفا إلى أقبور ومن الهبلة إلى ظلمين ومنها إلى ماسين فإلى تلبلكوزة»².

وما دلالة هذه العبارة إلا على معرفة مدينة أدرار جيدا ودرائته بجميع قصورها البعيدة.

2-الصحراء: أحداث تلك المحبة للحبيب السائح تدور وفق مسار متعدد الأمكنة، منها

المفتوح ومنها المغلوق والتي لها بعد ميتافيزيقي حالم، فيه الخرافة والمرجعية الدينية، للمنطقة الموعلة في التأمل والت صوف وما منطقة **تمنيط** التي كانت مهد معظم يهود أرض توات الذين تم اضطهادهم من طرف محاكم التفتيش المسيحية في الأندلس، فعبور الصحراء من الجنوب الى السهوب من أدرار الى المنبوعة، الى الأغواط، أين زار كردان مهد التيجانية، ووصف الأمكنة والصفاء والفضاء حتى وصل إلى مدينة بوسعادة، ودارت أحداث الرواية في حيز غلب عليه الاستقرار.

¹ مقابلة الروائية الأردنية. سميحة خريس، مع الروائي الحبيب السائح: 14/02/2017: house of fiction

² الحبيب السائح، رواية تلك المحبة، فضاءات للنشر والتوزيع والطباعة، عمان، الأردن، ط1، 2016.

بما أن المكان أحد أهم العناصر التي تتفاعل مع الإنسان فقد كان الفضاء الصحراوي عاملاً مهماً في إبراز خصوصية الإنسان فقد كان يتشكل في المجتمع داخله وفق نمط عيش يختلف في الكثير من التفاصيل عن مجتمعات الفضاءات غير الصحراوية.

الصحراء هي «عمق ثقافي ومعتقدي لأبناء المنطقة العربية لذلك تعاملت معها الرواية العربية بعمق وشمولية»¹.

فالصحراء هي عبارة عن مساحة رملية شاسعة تخضع بشكل كبير إلى التقلبات والتغيرات التي تحدثها العواصف الرملية، وقطعت صلتها بالعالم الخارجي، لصعوبة العيش فيها، وسكانها يتسمون بالحفاظ على الدين والأخلاق والعادات.

إن طبيعة الصحراء من حيث مناخها يفرض على صاحبها أن يتأقلم معها: «فالإنسان الصحراوي ليس هو الفاعل في الصحراء، بل هي الفاعلة وهو يتلقى الفعل»². وهي تجبره على التنقل والارتحال، وعدم الاستقرار يولد رهبة خاصة وشعور بالضالة.

«الحياة كلها صحراء، كما يقول الحكماء، والمرأة هي الجمل الذي به يقطعها الرجل، فأبدت له استغرابها لم أكن أعلم هذا، فهمس لها مقرباً شفتيه من أذنها عندما نختار نصبح ملزمين بأن نأخذ كل شيء أو نترك كل شيء، هكذا هي الصحراء، صارمة في الخيارات الثنائية: أهل وحشة، برد، وحر، عصف وصمت، الله والتوه، لا شيء بينهما، الحقيقة والضلالة لذا كانت الصحراء. من أقصى الطبائع في الانتقاء، الصحراء تختبرك دون إشعار مسبق. فإن فشلت هزمتك، ولا أنيس لك فيها غير امرأة»³.

¹ لوتمان، بوري وآخرون: جماليات المكان، عيون المقالات، الدار البيضاء، دار قرطبة، ط1988، ص2، ص63.

² الحبيب السائح، رواية تلك المحبة، ص192.

³ الرواية، ص193.

إن هذه الصحراء على قدر قساوتها لا تزال تمنح الأمان، وتعطي الاطمئنان وتقبل التعايش، «ثلاث أبعاد لا توجد في آخر غيرها»¹.

لقد تجاوز المبدع الواقع المكاني حيث نقلنا عبر بساط سحري إلى صحراء مدينة أدرار حيث كشف مفاتها وأسرارها والتي أبدع في نسيج تفاصيلها المتخيلة، حيث ترك المجال بخياله الواسع متكئا على مرجعيات كثيرة ليحكى لنا حكاية على توات الأسطورة، وتوات التاريخ وتوات الخرافة.

3- أرض توات: تعني بالأمازيغية أرض الصلاة والأرض المقدسة «أماكن لها دور

ميثافيزيقي حالم، فيه من الخرافة المشتركة وفيه ما تمليه المرجعية الدينية للمنطقة الموغلة في غياهب التأمل والتصوف الذي توحى به الأماكن والجهات»².

يتجلى لنا ولع المبدع ببناء أرض توات. وجعلهم مثل الصحراء لا يتقدم بهم العمر ولا تتألمهم الشيخوخة ولا يصبهم لوث. و اظهر لنا الأسطورة والخرافة التي يتداولها ناس أدرار عن اسباغ بني الجن الجمال والفتنة لبعض النساء في أرض توات حيث قال: «حدثت عن امرأة، وهبت من بني البشر الحكمة والفضل، وانسبخ عليها من بني الجن الجمال والفتنة، لو سميتها خدستت عرض أهلها، ولو وصفتها من غير دليل ادعت كل امرأة في بلاد توات والصحراء تلبسا بها ما كان لامرأة في البلاد كلها أن تدنوها قواما أو تشبهها وسامة»³.

أرض توات لها تاريخ موغل في غياهب الزمن أغوت الكثير عبر أجيال متعاقبة ولم ينس المبدع عن التكلم عن المسحيين واليهود الذين تعاقبوا على هذه الأرض حيث قال: «عن توات الاخرى وتاريخها وسيرة رجالها وحياة أهلها، الذين زرعوا نخيلها وشقوا فقاراتها وكما

¹ الرواية، ص 207.

² موقع ديوان العرب: ع/ كانون الثاني (يناير 2015) بقلم عيسى حذبي.

³ الحبيب السائح، تلك المحبة، ص 104.

أغرى النصارى في الرمل والريح والحر وكيف جاء، جبريل ولماذا رحل أستاذها وكثير من النصارى...»¹.

4-المقام : هو مكان مقدس يرتبط ببعض الطقوس الثقافية للمجتمع، إذ أن المقامات

تظم أصرخة الأولياء والصالحين ويقوم الناس بزيارتها لتكريم هؤلاء الأولياء إيماناً منهم بقدرة الولي على التوسط عند الله لتحقيق رغبة الزائر ويرتبط معنى المقام لدى الصوفية «مقام العبد بين يدي الله عز وجل بما يقوم به من مجاهدات ورياضيات وعبادها وشرطة أن لا يرتقي من مقام إلى مقام إذا لم يستوف أحكام ذلك المقام»². هو حيز في فضاء الصحراء أسسه عبد الرحمان الهاربيين بدين الله، أي ملجأ للمؤمنين المتقين الخائفين من الله تعالى: «ومن زاعم أن عارفاً، بمقام ولي عشقها قبل أن يزهد. وكان امتحانه إلى المكاشفة أن ينتصر على الشيطان»³.

5-السوق: هو فضاء مفتوح تقصده القوافل محملة بالسلع للبيع والمقايضة، تدل على

الريح والوفرة والنظام، «كان أجدادي أهل تجارة، وسادة قوافل وسدنة سوق توات التي لم يكن بعدها سوق شمالاً ولا جنوباً.

أبدعوا لها تراتيب عجيبة في البيع والمقايضة.

حدثني أخرهم عن أبيه يذكر له عهد الريح والوفرة و النظام فمن تجار الزيت والسمن والصابون والسكر والشاي إلى تجار الصوف والقطن وتجار الملابس والقفاطين إلى

¹ الرواية ، ص170.

² عبد المنعم الحنفي، الموسوعة الصوفية، مكتبة مدبولي، القاهرة، ط1، 2003، ص963.

³ الحبيب السائح، تلك المحبة، ص17.

الخياطين والنجارين والحدادين، كل في طريق يعرف بها. فمن ساحة الخضر والفواكه إلى ساحة التمر وساحة الملح إلى ساحة الزرابي وساحة الأنعام إلى ساحة العبيد والنحاسة»¹. وقد يكون له دلالة التعارف وحط الرحال والاختلاط بين الأجناس «أتعقب بك تلك الطريق التي سلكها إينا أولئك النصارى، من وهران وأرزيو أو طنجة وفاس إلى تافيلات أو كرزار أو من الأبيض سيدي الشيخ أو مكناس و فقيف إلى توات نحو تومبوكتو ليحطوا الرحال في تمنطيط قبل عين صالح ثم مجاهل السودان»²

ثالثا: الأماكن المغلقة:

1- البيت: يعتبر البيت كما هو متعارف عليه المسكن والمأوى الذي تأوي إليه جميع المخلوقات، طلب للراحة والاستقرار، فهو البنية الأساسية للعمران البشري، ولأن البيت «ليس مجرد مكان نحيا فيه ونسكن فيه وإنما هو جزء من كياننا ووجودنا الإنساني»³. فإن باشلار « جعل للبيت جسدا وروحا اعتبره عالم الإنسان الأول الذي يتيح له أن يحلم بهدوء»⁴.

ويذهب على أنه «واحد من أهم العوامل التي تدمج أفكار وذكريات وأحلام الإنسانية، فبدون البيت يصبح الإنسان كائنا مفتتا»⁵.

«الحياة أمامك، وسأكون الى جانبك، بيتي واسع وسي لخضر لا يرضيه أن لا تقبلي ضيافته»⁶.

¹ الرواية، ص22.

² الرواية، ص السابقة.

³ غادة الإمام: غاستون باشلار، جمالية الصورة، ص298.

⁴ غاستون باشلار، جماليات المكان، ص37.

⁵ المرجع نفسه، ص38.

⁶ الرواية، 211.

وشغلها ليل نهار أن توجد لها طريقا إلى حياة عادية تكفيها الشعور بالجرح إلى أن فاتحت زوجها فقال لها «سأنظر مع السيدة في الموضوع»¹ ، فالبيت له دلالاته الرحابة والكرم والضيافة و مكان للحوار الهادئ واتخاذ القرارات.

2- الكنيسة: تدل الكنائس على أنها دلالة التسامح الديني والانفتاح على الآخر، والإيمان

بالتعدد وحرية المعتقد، وتبرز الكنيسة في رواية تلك المحبة حيث قال الروائي: «فقد صار كلما زارته في بيته المجاور للكنيسة القديمة، فاحترق بنار الخطيئة، يسوغها لها معبرا إلى كل توبة»².

وبما أن أدرار بها كنائس فهي مدينة التسامح الديني ويؤمن أهلها من القديم بالتسامح الديني. فهم لا يمنعون أصحاب الأديان المختلفة على أن يمارسوا شعائر دينهم فما هو في فترة من روايتنا قائلا «طلب إليها أن تتلو عليه من إصحاحات الاستناد، ففعلت من خلفه في الفراش، لصقا بجسده توسده ذراعها، وفي يدها الكتاب، فاستمع في سكونة صلاة»³.

فمبروكة في الرواية لها أصول مسيحية ضاربة في التاريخ فهي عندما التقت بالأستاذ الفرنسي جبريل الذي لقنها الكتب التبشيرية، قبلت أن تدخل ديره بدعوى استعارة كتب ناذرة، وفي حقيقة الحال هي تحاول الافتخار بأصولها التي تنتمي إلى أصول جبريل «فما ذلك إلا لتتعلم كيف تصلي صلاتهم، وتقرأ كتابهم، فخورة بأصول جبريل الذي وعداها بأن يسافر بها إلى روما لتعمد وتحج»⁴.

3- القبر: القبر هو المثلوى الأخير، الذي ينام فيه الإنسان نومه الأبدي، و المكان

الآخر الذي يؤول إليه كل من مات حيث السكونية التامة و الصمت المطلق.

¹ الرواية، ص218.

² الرواية، ص155.

³ الرواية، ص155.

⁴ الرواية، ص157.

و القبر مكان واسع لا يضيق «يتوحد فيه الزمان و المكان فيتحولان إلى شيء واحد...فهو مكان لا متناه، يضم كل أنماط المكان و دلالاته»¹.

«العرق نيز من بدنه إلى أن تنزل كتل الضباب و تصرب إلى القبر، فهاج الذم و نتر الشاهدة وراح يضرب برأسه عليها باكيا حتى إنزاح التراب وانفتحت الأحجار، فوقف جسم في كفن سرعان ما تمزق عنه، فصعدا مثل الكتل نفسه وغاب في احقاق. فاستوى تراب القبر كأن لم يحفر»².

وقد يدل القبر في رواية تلك المحبة على النبش و السحر بالأعضاء «النبش حرام، لكني مبعوثة يتيمة الأبوين اليك لتعرف مآل والديها لم تتعم بهما ولا قررت عينهما بها...يسأل عن قبر أبيه الذي وارى غيره و لم يهيء له القدر من يدفع بقية ما خلفته الذئاب من فريسته»³.

4-السرداب: هو مكان ضيق مغلق، وهو في المدن القديمة يكون متخفيا يشبه الكهوف

و مظلماً أو شبه مظلم، فهو مرتبط ارتباطاً وثيقاً بالأعمال السردية و في رواية تلك المحبة قال الراوي: « هنا كان يجلس كبار الجماعة و أهل الحل و الربط و الحكماء لفض النزاعات حول الماء، و لنظر في التظلمات و الفصل في شؤون القتل و الثأر و تحديد الديات و في هنك الأعراض و الاغتصاب، و الزني المحارم و الطلاق و الخلع، و في السرقة و ينظرون في المعاهدات، و يتدبرون تأمين الطرقات و يعدون للأيام الجوع و نضوب الغفارات، و يعقدون مجالس الحرب و الغزو، و يتداولون أخبار الكتب و الرحلات»⁴.

إن السرداب له دلالة المجهول و الظلام و الصمت و الأسرار، « أحس المجهول كله يسكنني، لا نورا و لا ظلمة. عجيب! كأنني ألمس سر مجيء، سمعت تراجيع أتيّة من عمق

¹ محمد عيد الطربولي: المكان في الشعر الأندلسي، ص101.

² الرواية، ص 50.

³ الرواية، ص 246.

⁴ الرواية، ص 225.

ما وسعته الوحشة أمامي و ورائي، فوقي و تحتي أشعر أنني معطوفة بالأطباق، ملفوفة بالانقياد فارغة الذهن من أي ماضٍ»¹.

ان السرداب يدل هنا على الماضي البعيد و الوحشة و الحنين إلى الأجداد القدماء و استرجاع الذكريات التي عاشها القدماء.

5-المكتبة: هي فضاء مغلق فقد كانت هناك كتب في الشعائر المسحية في مكتبة

المتوسطة، كانت تأخذها مبروكة بتوجه أستاذ اللغة الفرنسية، الذي كثيرا ما وصفها بالأرضة «فقد قرأت خلال سنة دراسية شعاعا كاملا من كتب مغامرات المراهقين و من القصص الدينية إرضاء له»².

لم تكن المكتبة تدل على العلم و المعرفة فقط في رواية "تلك المحبة" بل للعشق و الغرام و رؤية مبروكة للأستاذ و تمتع برؤيته فقد كان يثير فيها شعورا غريب بالانجذاب اليه.

المكتبة عموما تتميز بإثراء المطالع بالمعلومات المعرفية و لنك في روايتنا اتسمت بالصمت الذي يؤدي رويدا رويدا الى الرغبة و الشهوة الجامحة: «سحقت كل خوف من اقترابها من جبريل، برغبتها المتوترة في أن تلمس بشرته البيضاء، وتذوق من لذتها في الفراش، فإنها رأت نفسها لا تقل إقداما من بطلات قصصها، وتصورت أنه يكفيها أن تقول له ذلك بعينيها و أن تترك قلبها يطير بها الى عشه الأبيض»³.

¹ الرواية ، ص 224.

² الرواية، ص 149.

³ الصفحة نفسها.

الخاتمة

نخلص في هذا البحث إلى مجموعة من النتائج نوجزها كما يلي:

- استطاعت الرواية الجزائرية أن تطرق عالم المدينة بمختلف ملامحه وصوره، إذ كان حضور المدينة في النصوص الروائية يعكس جانبا من التحولات التي عرفها المجتمع الجزائري خاصة في فترة ما بعد الاستقلال.
- يعد المكان من أهم العناصر الأساسية المكونة في البناء الروائي، فهو لا يمثل الخلفية التي تقع فيها الأحداث فحسب، بل الإطار الذي يحتويها، لذلك كان الإهتمام به لافتا للنظر من خلال توظيف الكاتب الجزائري لموضوع المدينة كمعطى أدبي معاصر في الرواية، إذ نجده مرتبطا بالمكان الذي طبع في نفسيته لمسة جمالية كشفت عن إحساسه العميق اتجاه المكان.
- لم يقتصر الروائي الجزائري على إبراز قيمة المدينة والوقوف عند أهميتها في حياته وحياة مجتمعه، فكانت موضوعا خصبا للتأمل والتفكير اتجاه الحياة، يجسد من خلالها الروائي رؤيته الخاصة للمكان، وصارت بذلك وعيا فكريا ونفسيا تتفاعل مع الذات والجماعة.
- نجد أن الروائي الحبيب السائح قد أدخل للرواية سمة جديدة متمثلة في المدينة ما يعكس اهتمام الكاتب بالمكان، فقد رصد من خلالها مستجدات الحركة الاجتماعية والاقتصادية والثقافية للفرد، وكان توظيف الروائي للمدينة بشكل فني متميز دل على اتساع ثقافة الأديب وعمق فكره.
- لا تكاد تخلو صفحة واحدة من الرواية المختارة من ذكر المدينة، حيث ورد ذكر المدن وشوارعها وساحاتها وأحيائها بأسمائها، وهو ما يميز الرواية المعاصرة التي

توهم القارئ بواقعيته، وتمكنه من تصور المدينة في إطار فني شكله الكاتب بإبداعه الخاص.

- تنوعت الفضاءات في الرواية بين المفتوح والمغلق، وقد جاءت الفضاءات المفتوحة أكثر توارا، جعل منها الكاتب أرضية خصبة تتحرك خلالها الشخصيات وتقع فيها الاحداث، بيد أن الفضاءات المغلقة كانت أقل حضورا في النص، مما يفسر الحالة النفسية للشخصية الروائية التي تميل أكثر إلى الانفتاح، فكانت هذه الفضاءات مشحونة بالقلق والتوتر، وأحيانا بالضييق و الاتساع.

- إن انتقال الشخصية عبر هذه الفضاءات يؤدي بالضرورة إلى تعدد الأماكن وتنوعها، سواء كان الفضاء مفتوحا أو مغلقا، فهو يستند أساسا إلى الشخصية ومدى تفاعلها داخل المكان.

- عمد الروائي الحبيب السائح إلى تقديم وصف لبعض الفضاءات اكتسبت بفضلها بعدا دلاليا وجماليا، وابتعدت عن طابعها الهندسي الملموس والجامد، حيث أسهم الكاتب في تصوير بعض ملامح المدينة، فانعكست طبيعتها ودلالاتها على الشخصيات.

وفي الأخير نأمل أن نكون قد وفقنا في إنجاز هذا البحث المتواضع، وأعطيناها القدر المستحق من الدراسة.

الملحق



تعريف الروائي الحبيب السايح:

روائي جزائي ولد في 1950/02/24 بناحية غريس لالة حسناء بأولاد سيدي عيسى ولاية معسكر و نشأ في مدينة، اشتغل بالتدريس ساهم في الصحافة الجزائرية و العربية، صدرت له عدة أعمال أدبية منها المجموعات القصصية القرار في دمشق 1979 و الصعود نحو الأسفل 1981 و الموت بالتقسيم 2003 و غيرها، أما الروايات قلة زمن النمرود 1985، و ذلك الحنين 1997، و تماسخت 2002 و تلك المحبة عام 2003، و مذبذبون لون دمهم في كفي 2009 ورايته كولونيل الزبير.

قائمة المصادر والمراجع

*الفرآن الكريم بـ" رواية ورش".

1. إبن منظور، لسان العرب، دار صادر، بيروت، لبنان، ط1، 1990، مادة(مدن)، مج3.
2. إحسان عباس، اتجاهات الشعر العربي المعاصر، دار الشروق لنشر و التوزيع، عمان، الأردن، ط3، 2001م.
3. أحمد رضا حوحو: غادة أم القرى، ط2، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1988، مقدمة الرواية.
4. أحمد سيد محمد: الرواية الإنسيابية ، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1989.
5. أوريد عبود، المكان في القصة القصيرة الجزائرية الثورية.
6. الأخضر بن السائح، سطوة المكان والشعرية القص في رواية ذاكرة الجسد(دراسة في تقنيات السرد)، الزمان و المكان في الشعر الجاهلي، عالم الكتب الحديث للنشر و التوزيع، عمان، الأردن، ط1، 2008م.
7. الحبيب السائح، رواية تلك المحبة، فضاءات للنشر و التوزيع و الطباعة، عمان، الأردن، ط1، 2011.
8. الرواية في القرن العشرين، جان ايف تاديه، ترجمة محمد خير البقاعي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، سلسلة القاهرة، 1988، ص 101.
9. المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية، مكتبة الشروق الدولية، ط4، 2004، مج1.
10. الشريف حبيبة: بينية الخطاب الروائي(دراسة في روايات نجيب الكيلاني).
11. بشير بويجرة محمد: الشخصية في الرواية الجزائرية.
12. بطرس البستاني، محيط المحيط، مكتبة لبنان ناشرون، بيروت، لبنان، دط، 1987، باب(الميم).

13. بهيجة مصري ادالبي: عامر الديك، السيرة الذاتية في الخطاب الروائي العربي، مؤسسة الوراق للنشر و التوزيع، عمان، الأردن، ط1، 2011.
14. جابر عصفور: الرواية و الإستشارة ، دار الصدى للصحافة و النشر و التوزيع، دبي، الإمارات العربية المتحدة، 2011.
15. حسين بحرأوي، بنية الشكل الروائي (الفضاء ، الزمن الشخصيات، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، ط 2، 2009م.
16. حسن نجمي، شعرية الفضاء المتخيل و الهوية في الرواية العربية، المركز الثقافي العربي، ط1، 2000.
17. رواية ذاكرة الجسد، أحلام مستغانمي.
18. زهرة كمون: الشعر في رواية أحلام مستغانمي.
19. سالم المعوش، المدينة العربية بين عولمتين، دار النهضة العربية للنشر و التوزيع، بيروت، لبنان، ط7، 1981م،
20. سيزا أحمد قاسم، بناء الرواية(دراسة مقارنة لثلاثية نجيب محفوظ، الهيئة المصرية للكتاب)، د ط، 1995.
21. صالح مفقودة، قسنطينة و البعد الحضاري للمكان في رواية ذاكرة الجسد.
22. صالح ولعة، المكان ودلالته في رواية مدن الملح لعبد الرحمان منيف، عالم الكتب الحديث للنشر و التوزيع، اريد، الأردن، ط1، 2010م.
23. عبد الصمد زايد، المكان في الرواية العربية (الصورة و الدلالة)، دار محمود على للنشر، تونس، ط1، 2003.
24. عايدة أديب بامية، تطور الأدب الجزائري(1925-1967)، ديوان المطبوعات الجامعية، العاصمة، الجزائر، د ط، د ت.
25. عمر بن قينة، في الأدب الجزائري الحديث(تأريخا و أنواع و قضايا...و أعلاما) ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، د ط، د ت.

26. عبد القادر بو عرفة، المدينة و السياسة(تأملات في كتاب الضروري في السياسة لابن رشد)، عالم الكتب الحديث للنشر و التوزيع، اربد، الأردن ، ط2003.
27. عبد الرحيم الكردي، البيئية السردية للقصة القصير، 1983، 1970، ديوان المطبوعات الجامعية، بن عكنون(د، ط، ت).
28. عبد الحميد بو رايبو: منطق السرد(دراسات في القصة الجزائرية الحديثة)، ديوان المطبوعات الجامعية، بن عكنون، الجزائر، (د، ط)، 1994،
29. عبد الناصر مباركية، قراءات و دراسات نقدية،
30. عبد المنعم الحنفي، الموسوعة الصوفية، مكتبة مدبولي، القاهرة، ط1، 2003.
31. غاستون باشلار: جماليات المكان، ترجمة غالب هلسا، المؤسسة الجامعية.
32. غادة الإمام: غاستون باشلار، جمالية الصورة.
33. مختار أبو علي، المدينة في شارع العربي المعاصر، المجلس الوطني للثقافة و الفنون و الأدب، الكويت، ط 1995.
34. قادة عقاق، دلالة المدينة في الخطاب الشعري العربي المعاصر.
35. لوتمان بوري و آخرون: جماليات المكان، عيون المقالات ، الدار البيضاء، دار قرطبة، ط 2، 1988.
36. ماجدة حمود، صورة الآخر في التراث العربي، الدار العربية للعلوم ناشرون، بيروت لبنان، ط1، 2010.
37. محمد حسن عبد الله، الريف في الرواية العربية، عالم المعرفة، ط 1989.
38. مختار محمد خضر: الأدب الجزائري المعاصر، منشورات المكتبة العصرية، بيروت(د، ط) 1967.
39. محمد عاطف غيث، علم الاجتماع الحضري(مدخل نظري)، دار النهضة العربية للطباعة و النشر و التوزيع، بيروت، لبنان، د ط.

قائمة المصادر و المراجع

40. محمد طمار: الروابط بين الجزائر و الخارج، الشركة الوطنية للنشر و التوزيع (د، ط) الجزائر، 1983.
41. محمد مصايف: الرواية الجزائرية بين الواقعية و الإلتزام، الشركة الوطنية للنشر و التوزيع، ط1، 1981..
42. محمد مفلح، إنكسار، دار طليطلة للنشر و التوزيع، الجزائر د ط، 2010.
43. محبوبة محمدي محمد ابادي، جماليات المكان في قصص سعيد حوار، الهيئة العامة السورية للكتاب، دمشق، ط1، 2011.
44. محمد عيد الطربولي: المكان في الشعر الأندلسي.
45. وسيني الأعرج: اتجاهات الرواية العربية في الجزائر، بحث في الأصول التاريخية و الجمالية للرواية الجزائرية، المؤسسة الوطنية للكتاب، 1986.
46. ياس عبدين مفهوم الفضيلة في مصطلح المدينة، مجلة ق دمشق للعلوم الهندسية، سوريا، ع1، 2012.

الرسائل:

1. قرطي خليفة، المدينة في الرواية الجزائرية العربية، رسالة ماجستير، معهد اللغة و الأدب العربي، جامعة الجزائر، 95/94.

الصحف و المجلات:

2. عبد الرحمان يطو: صورة المدينة و شكلنة الوعي الجمعي، مجلة اللغة و الأدب، جامعة الجزائر، ع 18، نوفمبر 2008.

المواقع:

3. موقع ديوان العرب: ع كانون الثاني (يناير 2015) بقلم عيسى حديبي.

المقابلات الرسمية:

4. مقابلة الروائية الأردنية سميحة خريس مع الحبيب السائح: 14/2/2017 : House
of fiction.

فهرس الموضوعات

الصفحة	الموضوع
أ-ب-ج	مقدمة
14-6	مدخل: نبذة تاريخية عن الرواية الجزائرية المعاصرة
37-15	الفصل الأول: صورة المدينة في الرواية الجزائرية (نماذج)
	أولا: المدينة
	1-تعريف المدينة
	أ- لغة
	ب- اصطلاحا
	2-المدينة و الآخر
	أ- المدينة و الكائن(الانسان)
	ب- المدينة و الريف
	ثانيا: نماذج لصورة المدينة في الرواية الجزائرية
	1-صورة المدينة في رواية ذاكرة الجسد لأحلام مستغانمي
	2-صورة المدينة لرواية انكسار لمحمد مفلح
51-38	الفصل الثاني: تجليات المدينة في رواية تلك المحبة للحبيب السائح
	أولا: المدينة كفضاء مكاني
	1-أهمية المكان
	2-دلالة المكان
	3-جمالية المكان
	ثانيا: الأمكنة المفتوحة
	1-مدينة أدرار
	2-الصحراء
	3-أرض توات
	4-المقام

	5-السوق
	ثالثا: الأمكنة المغلقة
	1-البيت
	2-الكنيسة
	3-القبر
	4-السرداب
	5-المكتبة
54-52	خاتمة
57-55	ملحق
63-58	قائمة المصادر و المراجع
65-64	فهرس الموضوعات